الفوضوية وآليات تفكيك الضمير الجمعى
تحليل مضمون لبعض كتابات الملحدين

إعداد
د. أمل سعد صالح محمد
الأستاذ المساعد بقسم الاجتماع
كلية الآداب - جامعةالمنوفية

المقدمــة:

تتفق المجتمعات الإنسانية على وجود ضمير جمعي لكل منها، لكنها تختلف في تحديد أهم العناصر الأساسية المُشكلة للضمير الجمعي الذي تنتجه، ويرجع ذلك لطبيعة تكوين كل مجتمع تاريخيًا ودينيًا وإقليميًا وثقافيًا، وتتمثل العناصر المُشكلة والمُكونة للضمير الجمعى في شكل ونوع سلطة الدولة، كذلك شكل ونوع الدين وسلطاته... الخ، وأن هذه العناصر تجعل أعضاء المجتمع حريصين على الالتفاف حول الوطن، بالتالي التمسك بالضمير الجمعي وإتباع توجهاته سواء بالفطرة الاجتماعية أو بالوعي.

ويعد كلًا من نظام الدين والدولة - ككل النظم الاجتماعية - من المكونات المحورية في بناء المجتمع. ويعتبر الدين النمط البارز والمثال المميز للفكر الجمعي، وهو يحل بانتظام في وعي الفرد ودفع خطاه داخل الوعي الجمعي الذي يمثل مكونه الأساسي، فالدين هو فكر جمعي بوصفه نقيضًا للفكر الفردي. وبما أن الضمير الجمعي هو مصدر ثبات الدين، فإن المجتمع هو المصدر الوحيد للضمير الجمعي[١].

ومن الممكن أن يكون الدين قوة تحافظ على الاستقرار والتماسك الاجتماعي، كما يمكن أن تلعب معانيه دورًا في إثارة التغيير الاجتماعي وفي إلهام كثير من الحركات والثورات الاجتماعية[٢]. وقد يأتي الدين مع الزمن ليتراجع عن مسيرة الوعي الجمعي باعتباره المثال الرئيسي على الأيديولوجيا الجمعية [٣]. ومن هنا نستطيع القول بأن هناك تفكيك لعناصر الضمير الجمعى.

وقد ازدهرت الفوضوية في مطلع القرن العشرين، وينص مبدأها (الفوضوية) على أن الحرية يمكن تحقيقها فقط من خلال إزالة سلطة الدولة (مطالبين بنظام سياسى واجتماعى مثالى يفرض أن يكون الفرد متحررًا من كل وصاية حكومية، ومساندة استقلال الإرادة الفردية) [٤]، وكذلك إزالة سلطة الدين والاستعاضة عنهما بالاتفاقيات الحرة بين الأشخاص. وقد تظهر هذه الجماعات الفوضوية في ظل غياب القانون (أثناء الثورات وما يليها مثلًا)، تلك الجماعات التي تطالب بلاسلطة للدولة مثل جماعة البلاك بلوك وجماعة الالتراس، وجماعة تطالب بلا سلطة دينية كجماعة الملحدين.

والفوضوية بمبادئها المتجسدة فى جماعات مختلفة تعمل على تفكيك وهدم عناصر الضمير الجمعى. وتتعدد آليات تفكيك الضمير الجمعي،

بمختلف فئاته ومستوياته، وخاصة لدى شباب المجتمع المصرى. والآن نرى ونسمع ونشاهد موجات متزايدة من آليات تفكيك الضمير الجمعي متمثلة في انتشار جماعات من الفوضويين.

ولقد بدت ظاهرة الإلحاد على السطح في المجتمع المصري بعد ثورات الربيع العربي، فقد نشرت مؤسسة "بورش مارستيلر" بنيويورك المتخصصة في دراسات الأديان والإلحاد بالولايات المتحدة الأمريكية، دراسة عن الإلحاد في مصر والوطن العربي بعد ثورات الربيع العربي، أكدت فيها أن مصر ينتشر بها أكثر من ٣ مليون ملحد لا يعترفون نهائيًا بالأديان(٥). وأكدت الدراسة أن نسبة من يشكون في القيم العقائدية قبل الثورة في مصر كان صفر، بينما بعد الثورة وصلت نسبتهم إلى ٣%، أي أكثر من ٢ مليون ملحد تقريبًا(٦).

ولتوضيح الإلحاد كآلية جديدة لتفكيك الضمير الجمعى، لابد ان نوضح الخصائص الاجتماعية الجديدة للملحدين الجدد فى ضوء تفكيك عناصر هذا الضمير الجمعى. إن فلسفة الملحدين الجدد تتلخص جيدًا في عناوين كتبهم، فهارس يدعو إلى نهاية الإيمان، لأنه من الخطر وغير النافع أن نؤمن دون أدلة. ويرى " دوكينز " أن الإيمان بالله "وهم". ويدعونا " دينيت " إلى كسر تعويذة التابوهات (المتعلقة بدراسة الدين ومسائله)، كما يكتب هيتشنز كيف يسمم الدين كل شئ(٧).

ولقد ركزت تفسيرات ظاهرة الإلحادالجديد، حتى الآن، بشكل عام على الدوافع الشخصية للكُتَاب الملحدين الجدد أنفسهم، حيث حدد هؤلاء عاملين اثنين للإلحاد هما : تأثير الإرهاب الإسلامى والتأثيرالمتنامى للخلقوية أو نظرية التصميم الذكى(٨).

وقد حاول كلًا من " ريتشارد دوكينز Dowkins Richard و دانييل دانيت Dennett Daniel" أن يدرسوا الإلحاد في ضوء الديناميكية الاجتماعية والتاريخية، وأن الدين إلى زوال لضعف وتهاوي مكانته عبر الزمان، وأن القواعد الدينية لابد أن تساير التغير عبر الزمن، كما رفضا العداء والعنف الذى يمارسه بعض الاصوليين الدينين فى المسيحية والإسلام(٩).

ويظهر الإلحاد الجديد بصور ومصطلحات جديدة مستترة تحت مفاهيم مثل حقوق الإنسان والدراسات الإنسانية. والأهم من هذا كله، أن

الملحدون الجدد يعملون على "تطبيع الحضور الإلحادي مجتمعيًا" فهم الآن يطالبون ببطاقات شخصية بدون ديانة، ويطالبون بزواج مدنى، ويكتب " ستيفن بوليفانت Stephen Bullivant" ان الملحدين الجدد لم يحققوا فقط نجاحًا على طريق زيادة الوعى الإلحادى، وهو ماكان مدهشًا فى حد ذاته، بل الأهم أن هذا قد تحقق فى كلًا من بريطانيا والولايات المتحدة([١٠]).

ولقد عمل الملحدون فى مصرعلى الظهور في الإعلام وشرح أفكارهم للعامة، حيث تنتشر على الشبكات الاجتماعية. وحتى موقع يوتيوب يوجد عليه مئات الصفحات التي تحمل أسماء متعددة ومنها: ملحدة مصرية أو رابطة المصريين الملحدين، وهو ما يعد أول شكل من أشكال تلك التنظيمات التي شهدتها مصر، وكان أول ظهور علني للملحدين في مصر في ١٩ ديسمبر عام ٢٠٠٩م، عندما صدر في هذا اليوم البيان الأول للملحدين المصريين متضمنًا ما يشبه الدستور الذى سيلتزم به الملحدون في حياتهم. والعمل الإلحادى اليوم ليس عملًا عشوائيًا يعتمد على الجهود الذاتية الفردية، بل ثمة مؤسسات إلحادية معنية بالدعوة الى الإلحاد ورعاية الملحدين.

وفى مطلع العام الثالث لثورة٢٠١١ ظهرت بمصر مجموعات صغيرة تحمل أسم بلاك بلوك، وتتبنى أساليب غير تقليدية فى الاحتجاج، وقد أنشأت هذه المجموعات عدة صفحات على مواقع التواصل الإجتماعى، أهمها صفحة الكتلة السوداء- مصر، التى ظلت تعمل حتى منتصف فبراير٢٠١٢ ثم أغلقت وأختفت الكترونيًا واجتماعيًا، مع ظهورها بين الفينة والأُخرى، وقد قالت المجموعة فى بيان مصور لها : إن هدفها هو السعى لتحرير الإنسان وهدم الفساد وإسقاط الطغاة فى كل زمان ومكان، وليس لدى الكثير منهم ثقة كبيرة فى الأطر القديمة بما فى ذلك الهوية الوطنية، وهم بذلك يعانون من أزمة هوية وانتماء([١١]).

وقد انتقلت جماعة البلاك بلوك من ألمانيا إلى دول أخرى، لتعيد نشر أفكار النظرية الفوضوية، ولعبت نظرية انتشار العدوى دورًا أساسيًا في الترويج ونقل فكر حركة بلاك بلوك، إلى أمريكا عام ١٩٨٩، وإلى إيطاليا وإنجلترا عام ٢٠١١، وإلي مصر عام ٢٠١٣، وباقي بلاد الثوارت العربية الأخرى.

وهذه الجماعات تمثل نموذجا لحركات العنف غير التقليدية التي تختلف عن حركات وجماعات العنف التقليدية التي تعرض لها المجتمع المصري مثل الجماعات الجهادية وتنظيم القاعدة، كما أن التوزيع الجغرافي للحركة - الذي يتركز في محافظات القناة «بورسعيد والسويس والإسماعيلية» والمحافظات التي تتميز بالطابع العمالي «كالغربية والجيزة والقاهرة» إلى جانب المحافظات الحضرية الأخرى «كالإسكندرية والمنيا» - يدلل على سيناريو تفتيت وتفكيك الضمير الجمعي للمجتمع المصري، لذلك تعمل الدراسة على تحليل آليات تفكيك الضمير الجمعي بوجٍه عام فى ضوء الاشارة لأفكار الفوضويين الملحدين[١٢].

إشكالية الدراسة:

يحافظ الضمير الجمعي على تماسك المجتمع الذي يهدف دائمًا إلى البقاء والاستمرار والديمومة، ويسعى جاهدًا لضمان هذا الاستمرار بإعادة إنتاج نفسه من خلال الزواج والإنجاب وتكوين الأسر. ونحن كضمائر فردية نتوزع كفئات اجتماعية على مواقع من الضمير الجمعي، ونلاحظ أننا نتوزع على خريطة الضمير وفقًا لدرجة انتماءاتنا وإخلاصنا والأدوار الوطنية التي نلعبها لصالح الوطن والمجتمع، والتي نتجاوز فيها أنانيتنا الفردية التي تدفعنا للانتصار لمصالحنا الذاتية.

والجسد الاجتماعي المصري لديه جهاز مناعة قوي يسمى بالضمير الجمعي، وعندما يفقد هذا الجسد ضميره الجمعي، يصاب بمرض الإيدز أي فقدان المناعة، حيث بقي ضمير الأمة الجمعي يحقق أهدافه كلما اعتدى عليه معتد عبر التاريخ، إلى أن فطن أعداؤهم لقوة هذا الضمير الجمعي، فحاولوا تشويه عقول الشباب[١٣]. ويتعرض الضمير الجمعي المصري لمحاولة تفكيكه عن طريق محاولات طمس الهوية المصرية ونحر الذاكرة الوطنية بتشويه الثقافة المصرية وإعادة تشكيل الضمير الجمعي بعد تفريغه من عناصره الأصيلة ليصبح هشًا مفككًا.

وليس الإلحاد ظاهرة وليدة اللحظة، وهو ليس فكرًا جديدًا انتشرللتو، بل لقد اعتنق هذا الفكر بعض الأفراد والأمم الماضية. وينتقل الإلحاد من الأفراد والمجموعات – مثل رابطة الملحدين العسكرية رسميًا في الاتحاد السوفيتي، من الفترة ١٩٢٥م إلى الفترة ١٩٤٧م، والتي كانت تضم قرابة ٦ مليون عنصر – إلى الدول. ومن حيث الدول فقد أعلنت كوريا الشمالية

رسميًا عام ١٩٤٨م إلحادها، واعتبر "كيم آل سونج" مؤسس الدولة أن الدين نوع من التضليل غير العلمي الذى يجب مقاومته بشراسة[١٤]. ومع مجئ الشيوعية الى الصين تم تحويل كل اصحاب الديانات الأرضية الى لادينيين، حيث ينتقل سكان الدول الشيوعية فى جداول البيانات من خانة الدين الى خانة الإلحاد[١٥].

ويعتبر الإلحاد الجديد New Atheism، مصطلحًا معروفًا في الدوائر الفكرية والفلسفية، ويرجع بداية صعوده في الغرب إلي أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، كما يؤرخ آخرون لبداية الإلحاد الجديد بظهور المادية الجدلية بنظرياتها المختلفة الماركسية والداروينية. كما ورد في بعض الأدبيات الأخرى التي عملت على رصد الإلحاد، بسقوط سجن الباستيل، والثورة الفرنسية، حيث أعقب الثورة الفرنسية موجة إلحاد ضخمة.

وتعتبر ظاهرة الإلحاد ظاهرة إنسانية بشرية مزمنة، والحقيقة وعلى مدى تاريخ الإنسان الطويل قد تعددت الألوان الفكرية للإلحاد، كما تعددت أيضًا الدوافع وراء وخلف هذا الإلحاد الفكري. وبالرغم من تعدد الدوافع وراء وخلف الإلحادالفكرى، الا ان الدافع الأكثر أهمية لتزايد الحالة الإلحادية، يأتى مع رفض السلطة الدينية والسياسية والكهنوتية، مما أدى الى انتشار الملحدين وجماعات العنف غير التقليدية الرافضة لأى كيان قائم متمثل فى سلطة رجال الدين كالآتى:-

*<u>رفض سلطة رجال الدين وخطابهم الدينى، على اختلاف منطلقاتهم الفكرية والمؤسسية، وذلك يرجع إلى عاملين هامين هما</u>:-

أ - تعدد الخطاب الدينى لديهم بعد انتشاره فى الحقل العام، ولتحديد موقع سلطة رجال الدين فى الحياة الاجتماعية بشكل عام، لابد من توضيح العلاقة بين الدين والمجتمع من ناحية وتوضيح مكانة الدين فيما يتصل بالحقل العام والحقل الخاص من ناحية أخرى. واتفاقًا مع ستيفن بوليفنت Stephen Bullivant بأن الدين بخروجه من المجال الخاص، قد أدخل نفسه فى الميدان العام وما يتضمنه من تجريح سياسى وأخلاقى[١٦]. وقد ساعدت تكنولوجيا الاتصال الحديثة الكثير من رجال الدين للخروج الى المجال العام.

وفى العالم الإسلامى وعلى خلاف ماحدث فى المجتمعات الغربية، ظل الدين لصيقًا حاضرًا كموضوع فى حياة الناس، كما ظل حاضرًا فى

الميدان العام لايغادره، بل يحاول ان يسيطر عليه وان يسيره. وهذا الخروج للمجال العام بوسائله الحديثة، أظهر ان هناك تعددًا فى المنطلقات الفكرية نابع من الاختلاف فى طبيعة الانتماء المؤسسى لمنتج الخطاب، مما أدى الى تعدد الفتاوى والتوجهات، (وخاصةً تلك التى تجمع بين حقول العقيدة وحقول السياسة).

وان تنوع الخطاب الدينى يعنى تنوع المتلقين، مما يفرض صورًا من الخلاف فى أرض الواقع، ويجعل امكانية الاتفاق ضعيفة، حيث يؤدي ذلك إلي توليد صورمن المقاومة والنقد، وما يصاحبها من وجود نظم سياسية ذات توجهات دينية، قد عملت على وضع الدين فى قلب النقاش والاهتمام العام، وكرست دورًا للمؤسسة الدينية فى الحياة العامة، بل وأدت بالرجال القائمين على الدولة المدنية إلى الخوف من الدين ومن رجاله [١٧].

وقد تحول بعض رجال الدين الى قوة سلبية منفرة، شوهت الدين بتطرف طرحها وحدتها وشدتها مع المخالفين، بالإضافة الى تزمتهم فى الإجابة عن الأسئلة المشروعة للعقل ونهى الشباب بل وزجرهم عن مجرد التفكير فيها، مما ساهم فى ابتعاد الشباب عن الدين جملة وتفصيلًا.

ب - رغبة النخبة الدينية فى الحفاظ على سلطاتهم ونفوذهم، وكذلك المكافآت والمكانة التي يحصل عليها رجل الدين أو ممثل السلطة الدينية، وبحسب " فيبر Weber " ، فإن الطبقات ذات الامتيازات الاجتماعية والاقتصادية العالية، أى هؤلاء الذين يمتلكون السلطة جعلوا للدين وظيفة أساسية لشرعنة نمط حياتهم ووضعهم فى العالم [١٨].

وقد وضح كتاب " شفرة دافنشى"، ان الكنيسة ممثلة فى أعضاء الحركة الكنسية العلمانية مستعدة للذهاب الى أبعد مدى من السرقة والقتل للمحافظة على الثروة والنفوذ التى حازتهما من خلال تكريس الكذب، وخاصة فى قضية ان المسيح هو ابن الله أو هو بشرًا، وان الكنيسة الكاثوليكية نجحت بمزيد من القمع وخداع الذات ان تكتم هذا السر وذلك للحفاظ على نفوذها وقوتها[١٩].

ج - الخبرات الصادمة من رجال الدين، وقد أدى ذلك إلى تفشى حالة نفور اجتماعيةSocietal Cynicism تجاه الدين النظامى. وتتعزز حالة النفور الاجتماعية حيال الخروج الأخلاقى لبعض رجال الدين، مثل الفضائح الجنسية وحالات الإعتداء الجنسى على الأطفال بواسطة القساوسة،

مما أفقد الثقة لدى الأوربيين والأمريكيين فى جميع المؤسسات الدينية. وطبقًا لمسح القيم الأوربية، فإن حوالى ٤٥,٩% من البريطانيين ليس لديهم ثقة كبيرة فى الكنيسة، بينما تنعدم الثقه لدى 7, ١٩%[٢٠].

وهذا يتفق مع مايعطونه الملحدين من اهتمام خاص بالتفوق المزعوم للخلق الإلحادى، وان المرء يمكن ان يكون ملحدًا لكنه سعيد ومتوازن وذا خلق ونضوج فكرى، فالملحدين والعلمانيين لديهم سمات ايجابية من قيم ومعتقدات واضحة فيما يتعلق بالأخلاق والمسائل السياسية والاجتماعية، ومثل المستويات المنخفضة من التحيز والعرقية أو الدعم الكبير للمساواة بين الجنسين، وأنهم أقل تمركزًا حول الذات وأقل انغلاقًا واستبدادية[٢١].

*رفض سلطة الأنبياء:-

ظاهرة الإلحاد من أخطر الظواهر في تطور الحياة الروحية والإجتماعية، وهى أيضًا ظاهرة ضرورية النشأة في كل حضارة، حينما تكون في دور المدنية، وإنما تختلف وفقًا لروح الحضارة التي انبثقت فيها، ذلك أن الإلحاد نتيجة لازمة لحالة النفس التي استنفذت كل إمكانياتها الدينية، فلم يعد في وسعها بعد أن تؤمن. وإذا كان الإلحاد الغربي بنزعته الديناميكية هو ذلك الذى عبر عنه " نيتشه " حيث قال: "لقد مات الله"، وإذا كان الإلحاد اليوناني هو الذى يقول: "إن الآلهة المقيمين في المكان المقدس قد ماتت"، فإن الإلحاد العربي هو الذى يقول: "لقد ماتت فكرة النبوة والأنبياء"، ذلك أن الإلحاد العربي كان لابد أن يصدر عن الروح العربية.

وكان الأنبياء هم الذين يلعبون أخطر دور في الحياة الدينية عند الروح العربية، وإذن فالدين والتدين عامة إنما يقومان على فكرة النبوة والأنبياء، وعلى هذا فإن الإلحاد لابد أن يتجه إلى القضاء على هذه الفكرة التي تكون عصب الدين وجوهره لدى تلك الروح، وهذا يفسر لنا السر في أن الملحدين في الروح العربية إنما اتجهوا جميعًا إلى نقد فكرة النبوة والأنبياء، وتركوا الالوهية[٢٢].

وتذكر المراجع الإحصائية نسبًا كبيرة جدًا لعدد الملحدين في العالم، فمثلًا يذكر كتاب: Book of Facts كتاب الحقائق الذى تنشره دوريًا وتعيد تحديثه مؤسسة المخابرات المركزية الأمريكية CIA، بأن نسبة الملحدين من عدد سكان بريطانيا تقارب ٢٥%، ونسبتهم في ألمانيا المتحدة تبلغ ٤٥%، وتقدر نسبتهم في الولايات المتحدة الأمريكية ١٠%[٢٣].

وفي دراسة أجرتها الـ BBC عام ٢٠٠٤م، في عشر دول أوروبية، كانت نسبة الملاحدة ٨%. وفي الولايات المتحدة، أجرى معهد جالوب عام ٢٠٠٥م، دراسة أظهرت أن نسبة الملاحدة تبلغ ٥%[٢٤].

وفي العام ٢٠٠٩م، أجرى معهد جالوب الأمريكي استطلاعًا هدف من خلاله إلى معرفة أكثر الشعوب تدينًا في العالم، وكانت النتيجة التي اعتبرها البعض طبيعية أن مصر " علي سبيل المثال " قد جاءت في المركز الأول، والتي وصلت نسبة التدين بها إلى ١٠٠%. وفي العام ٢٠١٢ أجرى نفس المعهد إحصاءاته، لتأتى النتيجة مفاجئة هذه المرة، فقد وصلت نسبة التدين في مصر إلى ٧٧%.

كما أن هناك احصائية قامت بها مؤسسة "Ford" أوضحت ان عدد الملحدين في مصر في عام ٢٠١٢م قد وصل إلى نسبة ٣%، حيث يرى عدد كبير من الباحثين في قضية الإلحاد أن الثورات من الأسباب البارزة للإلحاد، بحجة أن المزاج الثوري يدعو للثورة على كل الثوابت مثل الدين، مثل الثورة الفرنسية والثورة البلشفية التي شهدت صعود الإلحاد بعدها. وقد تزايد هذا المد الإلحادي بعد ثورات الربيع التاريخية. ويرجع ذلك إلى نجاح الشباب في تحديهم لرموز السلطة في هذه البلاد، مما شجع بعضهم على تحدى الرمز الأكبر متمثلًا في منظومة الألوهية والدين، كما سمح جو الحرية الذى أتاحته الثورات بالبوح بهذه الأفكار. ولا شك أن فشل تجربة الإسلام السياسي في مصر سيؤدى إلى انعكاسات سلبية في هذا المجال[٢٥].

ويمكن القول أن الوقوف بدقة على حجم الحالة الإلحادية ومدى انتشارها مجتمعيًا، مسألة في غاية التعقيد. إن مسألة التعرف على النسب والأرقام لكثير من ظواهرها الاجتماعية يعد مسألة شائكة، فكيف لظاهرة معقدة تتسم في غالب تجلياتها محليًا بالتستر الشديد والخفاء، حيث مازال عددًا من هؤلاء الملحدين يخفون إلحادهم وكفرهم بالأديان حرصًا على مظهرهم الاجتماعي، ومراعاة لمشاعر أسرهم والمحيطين بهم.

وقضية الإلحاد ليست دينية أو كهنوتية، لا تناقش إلا بواسطة علماء الدين ورجاله، ولكنها قد تكون قضية مجتمعية، لأنها تتقاطع مع خطوط تماس قضايا سياسية كحرية العقيدة والتعبير وموقع الدولة من المساحات الخاصة واستخدام الدين وحماية العقيدة كوسيلة للحشد والتعبئة السياسية، أو الارتباط بين حالات الإلحاد والثورات، كما انها تتقاطع مع خطوط تماس

قضايا اجتماعية كالمستوى الطبقى والمظهر الاجتماعى والتعليمي، كما انها تتداخل مع قضايا ثقافية واقتصادية أخرى، وبذلك ترى الدراسة أن هناك مجموعة من العوامل المجتمعية تتشابك وتؤدى إلى الإلحاد.

وتتحدد اشكالية الدراسة فى توضيح العلاقة بين الفكر الفوضوى الإلحادى المتمثل فى رفض السلطتين السياسية والدينية وتفكيك الضمير الجمعى.

أهمية الدراسة العلمية والعملية:

تتمثل الأهمية العلمية فى نقص الدراسات المعنية بالضمير الجمعى، مع أهمية توضيح علاقة الضمير الجمعى بالإلحاد والملحدين ودرجة تأثيرهم فى الضمير الجمعى، وذلك نظرًا للظروف والسرية الشديدة التى أحاطت بتلك الجماعات، والتى جعلت الباحثين يحجمون عن الخوض فى تلك الأبحاث الأكاديمية التى تتصل بهذا الموضوع.

كما تتمثل الأهمية العملية للدراسة فى انها تأتى فى مرحلة حرجة لإنتشار عوامل الهدم والتفكيك، حيث تعتبر أى دراسة لرصد هذا الواقع بشكل عملى فى غاية الأهمية. يضاف للدراسة ميزة الاستشراف والمبادرة للتصدي لهذه الظاهرة الوافدة، قبل أن يشتد عودها ويتجذر شرها في زمن فوضى الثورات المضادة، مما وفر مناخًا مناسبًا للتمدد تحت ستار محاربة الإرهاب والتطرف.

أهداف الدراسة:

تصاغ أهداف الدراسة الحالية كالتالى:

الهدف الرئيسى للدراسة:

محاولة الكشف عن العلاقة بين الفكر الفوضوى الإلحادى المتمثل فى رفض السلطتين السياسية والدينية وتفكيك الضمير الجمعى.

وينبثق من هذا الهدف الرئيسى عدة أهداف فرعية كالتالى:

١ – محاولة الكشف عن العلاقة بين الفكر الفوضوى الإلحادى الخاص برفض التقيد فى التفكير وتفكيك الضمير الجمعى.

٢ - محاولة الكشف عن العلاقة بين الفكر الفوضوى الإلحادى الخاص برفض سلطة القوانين السماوية وتفكيك الضمير الجمعى.

٣ - محاولة الكشف عن العلاقة بين الفكر الفوضوى الإلحادى الخاص برفض سلطة المجتمع وتفكيك الضمير الجمعى.

٤ - محاولة الكشف عن العلاقة بين الفكر الفوضوى الإلحادى الخاص برفض سلطة الخوف من العقاب التى يمارسها الدين والآله وتفكيك الضمير الجمعى.

فروض الدراسة:

الفرض الرئيسي للدراسة:

هناك علاقة بين الفكر الفوضوي (الأناركي) الإلحادى والمتمثل فى رفض السلطتين السياسية والدينية وتفكيك الضمير الجمعي.

وتنبثق من هذا الفرض الرئيسى عدة فروض فرعية كالتالى:

١ - ان الفوضويين الملحدين يرفضون التقيد فى التفكير (يدعون إلى حرية التفكير) مما يؤدى الى تفكيك الضمير الجمعى.
٢ - ان الفوضويين الملحدين يرفضون سلطة القوانين السماوية مما يؤدى الى تفكيك الضمير الجمعى.
٣ - ان الفوضويين الملحدين يرفضون سلطة المجتمع لانها تؤدى الى الإلحاد مما يؤدى الى تفكيك الضمير الجمعى.
٤ - ان الفوضويين الملحدين يرفضون سلطة الخوف من العقاب التى يمارسها الدين والآله مما يؤدى الى تفكيك الضمير الجمعى.

ثانيًا - مفاهيم الدراسة:-

- الإلحاد:-

مصطلح إلحاد بالإنجليزيةAtheism عبارة عن مصطلح عام يستعمل لوصف تيار فكرى فلسفي، وجوهر هذا الفكر يتمركز في عدم الاعتقاد بوجود أية آلهة للكون، أما معجم لسان العرب فيقول: لحد القبر يلحده لحدًا، عمل له لحدًا، واللحد حفرة، كما تعنى كلمة لحد الميلان أوالزيغان عن طريق أو شئ ما، واللحد في الإله أو في الدين هو الخروج من الدين أو الميلان عن الطريق الذى رسمه الدين لفكرة الإله، وبالتالي فالملحد هو المنكر لوجود الإله وللدين. وتصف ويكيبيديا الموسوعة الحرة أيضًا تبعًا لمعجم لسان العرب: أن الإلحاد في اللغة هو الميل عن القصد، ولحد إليه بلسانه أي مال، وأصل الإلحاد الميل والعُدول عن الشئ[٢٦].

ويرتبط مفهوم الإلحاد ببعض المفاهيم القريبة مثل:-

- اللادينيـــة[٢٧]:-

يبدو أن اللادينية مفهوم قريب من الإلحاد، واللاديني، يعنى من لا يؤمن بدين، وليس بالضرورة أن يكون منكرًا للألوهية، واللادينية هي عدم إيمان الإنسان بأي دين ورفض جميع الأديان على أنها صنع ونتاج فكرى بشرى، واللادينية هي عنوان عريض يندرج تحته الكثير من التوجيهات والقناعات الفكرية والفلسفية والعلمية المرتبطة بالأسئلة الجوهرية عن الكون ومغزاه وعن السياسة والأخلاق، ولكن تبقى اللادينية مفهومًا بسيطًا يقتضى بالاعتقاد أن أي دين هو بشرى الصنع.

أما عن علاقة اللادينية بالإلحاد، فالشخص الملحد هو شخص لا ديني، لكن العكس لا يشترط الصحة، حيث لا يوجد علاقة معينة باللادينية. وينقسم اللادينيين من حيث نظرتهم إلى الآلهة لثلاثة فروع وهى:-

الملحدون :-

وهم الذين يرفضون فكرة وجود قوى فوق الطبيعة كالآلهة رفضًا صريحًا. وينقسم الملحدون إلى مجموعات مثل مجموعة العلماء والفلاسفة الذين تبنوا الإلحاد، ثم وجدوا في نظرية التطور الداروينى حجتهم العلمية الكبرى. (ويندرج تحت هذه المجموعة العلماني Secularist الذى يتبنى دعوة إلى إقامة الحياة على العلم المادي والعقل ومراعاة المصلحة بعيدًا عن الدين[٢٨])، ومجموعة الشيوعيون الذين يريدون تحويل المجتمعات البشرية إلى مستعمرات من النمل والنحل، ولن يمكن تحقيق ذلك في وجود المعتقدات الدينية، فينبغي القضاء عليها ولو بالقوة. ومجموعة من أفراد غير متخصصين أو غير مؤدلجين، وجدوا في القول بالإلحاد هروبًا من قيود الدين أو إثباتًا لذواتهم أو تحقيقًا لمصالح أخرى لعدد لابأس به من الصامتين، ممن لديهم شك، لكنهم لا يطرحونه للنقاش، والذى يرضون بأسلوب "هُوَّا كده Just- So"[٢٩].

اللاأدرية :-

وهم الذين لا يتخذون موقفًا معينًا من قضية الآلهة باعتبارها كما يعتقدون مسألة علمية لا تحمل أهمية جوهرية بالنسبة للإنسان. واللاأدريAgnostic هو الذى يؤمن أن قضايا الألوهية والغيب لا يمكن إثباتها وإقامة الحجة عليها، كما لا يمكن نفيها باعتبارها فوق قدرة العقل على الإدراك

الربوبيونDeist:-

وهم الذين يعتقدون بوجود قوة مسيرة للكون، قد لا تكون بمفهوم الإله الخالق الذى نعبده، بمعنى أنه يؤمن بأن الرب خلق الكون، ولكنه ينكر أن يكون قد تواصل مع البشر عن طريق الديانات.

ومفهوم الإلحاد إجرائيًا هو " رفض سلطة الإله والدين، من خلال رفض سلطة رجال الدين وسلطة الانبياء، وكذلك رفض سلطة المجتمع، لأن سلطة المجتمع تؤدى للإلحاد، مع قبول سلطة العلم وحرية التفكير".

ولابد من التفرقة بين الانتقال من مرحلة الإيمان إلى مرحلة اللاإيمان ومن مرحلة الإيمان إلى مرحلة الإلحاد الذى هو إنكار الصانع. ولذا يجب التفريق بين الملحد Atheist وغير المؤمن Disbeliever، فالملحد لديه بنية فلسفية تأويلية متكاملة فيما يختص بالحياة والوجود والماورائيات. أما عدم الإيمان فهو شك مرحلي طارئ يمكن تجاوزه أو الاستمرار عليه حسب عمق البحث ودرجة الشك، والإلحاد الجديد هو ملة متكاملة الأركان لها قواعدها المعرفية وأصولها الإيمانية، وعقائدها الماورائية التي لا يتساهل فيها المنظرون [٣٠].

مفهوم الفوضوية :

مصطلح فوضى An-archie يعنى اللاسلطة أي انتفاء السلطة ومؤسساتها وغيابها، على اعتبار أن الجزء الأول من المصطلح An يعني الانتفاء، بينما يقصد بالجزء الثاني منه Archie السلطة، أي لا سلطة، وهي الجماعة الفوضوية التي يتساوى أفرادها ولا رئيس لهم، ويتخذون من حرف A رمزًا لهم. ولفظ الأناركية هي كلمة يونانية قديمة تعني حرفيًا لا حاكم أو لا سلطة واشتقت كلمة Anarchism من الجذر اليوناني Anarchas.

كما تعنى الفوضوية حرفيًا "دون تفويض" رغم انها تعرف على نطاق واسع بانها نظام يظل فيه النظام الاجتماعى دون وجود لدولة او اية آليات قهرية أخرى، ومن خصائصها المشتركة أولوية سيادة الفرد ورفض أى نوع من السلطة القهرية يمكن أن تمس حرية الفرد وأن يكون هناك مبدأ الطوعية أو المساعدة المتبادلة[٣١].

مفهوم الضمير الجمعي :

هو أحد المفاهيم الكبرى لدى دوركايم. أما من حيث القانون والأخلاق والضبط الاجتماعي، فهناك ولاء ملحوظ للضمير الجمعي الذي يعني مجموعة من المعتقدات والعواطف العامة بين أعضاء المجتمع والتي تكون نسقًا خاصًا، ومثل هذا الضمير له وجوده الخاص المتميز فهو يدوم عبر الزمن ويعمل على توحيد الأجيال. والضمير الجمعي يعيش بين الأفراد ولكنه يتميز بالقوة والاستقلال وبخاصة حينما تزداد درجة التشابه بين الأفراد. وقد عرف دوركايم الضمير الجمعي بأنه «المعتقدات والمواقف الأخلاقية المشتركة والتي تعمل كقوة للتوحيد داخل المجتمع»، وبمعنى آخر يعتبر الضمير الجمعي محصلة القيم الحاكمة لسلوكيات الفرد والجماعة، فالأخلاق قيمة لا يمكن التغاضي عنها أو تعويضها، لأن القانون يبني وعيًا لكنه لا يبني ضميرًا.

وتعكس دراسة الضمير الجمعي عند دوركايم نظريته عن القهر الاجتماعي، وترتبط معالجته للظواهر الاجتماعية ارتباطًا وثيقًا بمناقشة الضمير الجمعي، حيث يعد المفهوم من مفاهيم دوركايم الرئيسية، والذي عرفه بأنه :«مجموعة من المعتقدات والعواطف المشتركة لدى متوسط أعضاء المجتمع الواحد والتي تشكل نظامًا اجتماعيًا محددًا له حياته الخاصة به».

ويعتمد الضمير الجمعي في وجوده على الأحاسيس والعواطف والمعتقدات الموجودة في الضمير الفردي، وبالتالي أوضح أن هناك ارتباطًا ذا تأثير متبادل بين الضمير الجمعي والأفكار الاجتماعية في الواقع الاجتماعي نتيجة الضغوط التي يمارسها الضمير الجمعي على أعضائه.

والدين هو نظام موحد مكون من معتقدات وممارسات متصلة بأشياء مقدسة، بمعنى أشياء منزهة ومحرمة – معتقدات وممارسات تتحد في مجتمع واحد والكل يلتزمون بها[٣٢].

والدين عند دوركايم هو أمر جماعي بامتياز، فهناك شيء أبدي في الدين مقدر له الحفاظ على جميع الرموز الخاصة التي غلف الفكر الديني نفسه بها تباعًا، ولا يمكن أن يكون هناك مجتمع لا يشعر بالحاجة إلى تعزيز العواطف والأفكار الجماعية التي تصنع وحدته وشخصيته، ويعيد التأكيد عليها على فترات منتظمة.

والدين باختصار هو ذلك النظام من الرموز الذي يفهم المجتمع ذاته من خلاله، فهو الطريقة المميزة للتفكير في الوجود الجماعي، ويتشكل من مجموعة المعتقدات والعواطف المتعارف عليها بين مواطنى المجتمع الواحد، نظامًا محكمًا له حياته الخاصة يمكن تسميته بالوعي الجمعي أو المشترك، ويكون أي فعل إجراميًا عندما يخالف حالات مستقرة وقوية من الوعي الجمعي. بعبارة أخرى فإنه لا يجدر بنا القول بأن الفعل قد صدم الوعي العام لأنه إجراميًا، بل نقول أن الفعل إجرامي لأنه غير متفق مع الوعي العام، فنحن لا نستنكر الفعل لأنه جريمة، ولكن نعد الفعل جريمة لأنه مستنكر.

وتحدد الدراسة خصائص للفوضويين الملحدين، والتى تؤدى الى تفكيك الضمير الجمعى، وتحتوى هذه الخصائص على العناصر والمؤشرات التالية:

- الرفض التام لكافة أشكال السلطة داخل المجتمع خاص السلطة الدينية والسياسية (سلطة الدولة).
- الرفض المطلق للتقيد فى التفكير (الحرية فى التفكير).
- الرفض المطلق لأي سلطة لرجال الدين.
- التعارض التام للشرائع والقوانين السماوية.
- الرفض التام لأي سلطة يمارسها المجتمع مؤسسة على العادات والتقاليد.
- انكار وجود إله وانكار فكرة الثواب والعقاب.
- إن حدوث الفوضوية يعد أمر حتمي.
- هدم الكثير من المعتقدات والثوابت الدينية مثل الموقف من ابليس.

الإطار النظري للدراسة:

يتمتع الضمير الجمعي بدرجة عالية من الثبات النسبي، وهذا بعكس الفوضوية أو الأناركية التي تتميز بدرجة من التغيرات الشديدة. والثبات النسبي للضمير الجمعي يأتي من حرص المجتمع على صيانته والتمسك بدوامه، وبالذات الجانب الوطني والأخلاقي من الضمير الجمعي. ونحن نشاهد مجتمعات ودول تزول من صفحة التاريخ لارتباك وعي أفرادها

بأسباب الاستمرار في الحفاظ على الضمير الجمعي، وهنا يصبح علينا أن نشير إلى تعرض الضمير الجمعي لآليات التفكيك مثل آلية الفوضوية التي تدعو إلى اللاسلطة (كجماعة البلاك بلوك)، واللادين (كالملحدين) الذين يرفضون سلطة الدين.

وإذا كان الإلحاد آلية من آليات تفكيك الضمير الجمعي، فلابد من توضيح دور الدين في حماية الضمير الجمعى من التفكيك فى التراث السوسيولوجى، لأن الضمير الجمعي هو أحد مكونات بناء المجتمع. وقد وجدت الدراسة ان مقولات دوركايم النظرية هى من أفضل التفسيرات لمقولات الدراسة الحالية والمقابلة لتفسيرات الفوضوية للاسلطة وللادين. وفى الجزء التالى من الدراسة سوف يتم تحليل الفوضوية بشقيها الرافض للسلطة والدين فى ضوء النظرية الدوركايمية.

١ - الأناركية (الفوضوية) كآلية لتفكيك الضمير الجمعي في ضوء النظرية الدوركايمية:

الأناركيAnarchy حركة سياسية تقوم على مبادئ اللاسلطوية وانتفاء السلطة، فهي تدل على مجمل الجماعات والأحزاب السياسية التي تهدف لإزالة سلطة الدولة المركزية، هذه الجماعات ستنضم طوعًا مع بعضها البعض لتخلق شبكة من المنظمات المستقلة المتعاونة فيما بينها والتي ستدير المجتمع(٣٣). ولقد أثار عدد من المفكرين الفوضويين قضايا مختلفة، إلا أنه لم يصبح للأناركيه فكرة مترابطة حتى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر.

ويمكننا أن نجد ظهورًا للحركة الفوضوية في أنحاء أوروبا في الستينيات من القرن التاسع عشر (١٨٦٠م)، ومع بداية الحركة النقابية في فرنسا في أوائل القرن العشرين. وقد رفع لواء الفوضوية في القرنين ١٨، ١٩ المفكر الإنجليزي جودوين(William Godwin 1756 – 1836) والفيلسوف الثائر ميخائيل باكونين(Mikhail Bakunin 1814 – 1876) وعالم الجغرافيا الطبيعية الروسي كروبوتكين (Kropotkin 1842 – 1921)، وتحدث هؤلاء عن بشرية عقلانية متنورة تتخلص من قيود المؤسسات التي كانت ملائمة للسلوك غير العقلاني في العصر البدائي.

وربما تكون نقطة البداية هي التأكيد على أن الفوضوية ليست ايديولوجية وإنما نقطة تقاطع بين العديد من الايديولوجيات، فهناك

فوضويون يساريون وفوضويون ليبراليون. وقد تعرضت الفوضوية في توجهها الاشتراكي لنقد الليبرالية المعاصرة، لأن مفاهيمها تتلاقى مع مفهوم ماركس عن تلاشي جهاز الدولة في المرحلة الأخيرة من تطور البشرية في ظل النظام الشيوعي[٣٤]. وبغض النظر عن الأيديولوجيات المختلفة للفوضوية، إلا أنها تتفق في العموم على مبدأين هامين هما : اللاسلطوية واللادينية، اللاسلطوية في رفضها لسلطة الدولة، واللادينية في رفضها للسلطة الدينية.

وانتقد الماركسيون بدورهم الفوضوية الليبرالية كمنظومة فكرية رجعية لأنها بمطالبتها بجعل الملكية الفردية الصغيرة أساس النظام الاجتماعي، تحاول عبثًا استعادة أوضاع اقتصادية واجتماعية تجاوزتها الرأسمالية. كما اتهموا أنصارها بالنفاق لعدم الإسهام الجاد في مقاومة الرأسمالية. وإنكارهم الصراع الطبقي الكفيل بالانتقال إلى الاشتراكية.

كما تتجلى الفوضوية في أشكال متعددة، ثمة الشكل الفرداني المحض الرافض لكل تنظيم. ويتوجه آخرون مثل الفوضويين الشيوعيين، نحو الطبقة العاملة، وثمة فوضوية مثل العصابات الفلاحية لماخنوMakhno وهناك الفوضوية التي تستبعد النقابات كأداة نضال، وهناك بعكس ذلك النقابية الفوضوية، وهناك أيضًا فوضويون لا تسعهم أي من هذه الفئات أو يدمجونها بطريقة خاصة بهم.

لكن الشيوعية اللاسلطوية (الأناركية) ليست فقط طريقة لنوع جديد من الاقتصاد أو أسلوب جديد للتنظيم الاجتماعي، بل هى كعملية (صيرورة) مستمرة، فإنها تبدأ قبل الثورة وتتطور بعدها، وتوجد هناك حاجة لمهاجمة كل المعتقدات والأفكار والمؤسسات والممارسات التي تحد من الحرية والعدالة ويندرج تحت ذلك الدين، التمييز الجنسي والتمييز حسب العمر، العنصرية، الوطنية، الجشع والاستغراق في الذات، جميعها تحتاج لأن يجري التخلص منها، وإلا فإن الثورة لن تكون ذات جدوى بحسب الفلسفة الأناركية.

ونجد أن المفكرين والمنظرين للفوضوية مشتركين في رفض الدولة بلا استثناء كسلطة أمثال قوديون – برودور – ماكس شيترنر – توكير، أما تولستوي لا يرفضها مطلقًا ولكن في مرحلة ما بالنسبة للشعوب المتحضرة، أما باكونينوكروبتكين فيروا أن التطور في المستقبل القريب سوف يجعل

الدولة تختفي، فهم لا يؤمنون بدولة قومية عربية، ولا بدولة شيوعية، ولا بدولة رأسمالية، وما يوحدهم هي الصيرورة الثورية فقط والصيرورة تعني الاستمرار في الحالة الثورية.

وفى الفقرات التالية سوف تتم المقاربة النظرية بين الأساس الفكرى للفوضوية فيما يخص رفضهم للدين وللدولة لتفكيك الضمير الجمعى، مقابل الطرح النظرى لفكر دوركايم فى هذا السياق، وخاصَّة فيما يخص تأكيده على أهمية دور الدولة والدين فى العمل على تماسك الضمير الجمعى.

٢- اللاسلطة كآليه لتفكيك الضمير الجمعي:

ويدعي الفوضويون وجوب اختزال الدولة لمساحة هامشية Minimalist State أو اختفائها واستبدالها بشكل جديد من التنظيم الاجتماعي، فالدولة لديهم ليست المكافئ للحكومة عمومًا، وبالفعل فإن بعض الفوضويين قد استخدموا هذا التمايز مؤكدين أن هدفهم ليس مجتمعًا بلا حكومة، ولكن مجتمع بلا دولة، والفوضويون يرمون الدولة باتهامين :-

فهم يدعون بعدم أحقيتها في الوجود ككيان مسلم به، ينظر له على أنه ضمان السلام الاجتماعي.

كما يدعون بأنها حملت معها سلسلة من الشرور الاجتماعية.

ويعرض «برودون» - أحد أبرز منظري الفوضوية – أربع اتهامات أساسية للدولة.

الأولى : أنها كيان إكراهي، يحد من حرية الناس ويقللها لما هو أدنى بكثير مما يحتاجه التعايش الاجتماعي، فهي تصدر قوانين مقيدة لا لصالح المجتمع بل لحمايتها.

ثانيًا : أن الدولة هي كيان تأديبي أو عقابي، فهي توقع عقوبات شديدة على هؤلاء الذين يخرقون قوانينها، سواء أكانت هذه القوانين عادلة أم لا. والفوضويون ليسوا بالضرورة ضد هذه العقوبات، ولكنهم ضد أشكال وأحجام العقوبات التي تصدر عن الدولة.

ثالثًا : الدولة كيان استغلالي، فهي تستخدم قوتها في فرض الضرائب والتنظيم الاقتصادي، لتمويل الموارد من مراكز الثروة إلى خزانتها. وأخيرًا فالدولة هي تنظيم هدام، إذ تجند رعاياها أو مواطنيها في حروب سببها الوحيد حماية الدولة نفسها، وبدلًا من أن

تكون حافظة لحياتهم من حالة الفوضى ينتهي الأمر بموت الفرد في سبيلها.

أما عن المجتمع المقصود لدى الفوضيون فهو ليس بدون تنظيم كليًا، بمعنى أنه توجد مؤسسات لتحقيق أهداف جماعية. ولكن تلك المؤسسات لها خصائص تختلف عن الدولة أولا : أنها لن تكون راعية أو سلطوية، ولكن ستكون محددة الوظائف، ولن يسمح لها بتخطي دورها المحدد سلفًا.

ثانيًا : يصر الفوضويون أن يكون الانتماء لهذه المؤسسات اختياريًا وليس إجباريًا، بمعنى أن كل فرد تحكمه ذلك المؤسسات يجب أن يوافق سلفًا على أن يحكم بها.

ثالثًا : بعض الفوضويين قد أعجب بفكرة وجود وكالات مختلفة تتعاون في مجال واحد، وفي الوقت نفسه تتنافس لاستمالة العاملين في تلك المجال.

رابعًا : فهم يرون جعل هذه المؤسسات أكثر قبولًا وذلك بتسييرها على طريق الديمقراطية المباشرة أو تداول الإدارة.

وسيكون من الخطأ استنتاج أن الفوضويين يعدون كل الوظائف التي تقوم بها الدولة غير ضرورية، فمن وجهة نظرهم أنه من المستحيل أن تكسب الدولة شرعيتها بين الجماهير دون أن تقدم خدمات أو تقوم بمهام نافعة. وإن لم يتفق الفوضويون على هذه المهام، إلا أن الدولة تتواجد في مساحتين : حماية الفرد ضد غزو الآخرين له، والتنسيق بين أعمال الإنتاج في المجتمع.

ولقد تبلورت أفكار الفوضوية حول الموقف من الدولة والمؤسسات ومفهوم الحرية، وتمثلت كذلك في مقاومة محورية الدولة التي تحمي أسلوب الإنتاج الكبير، والمطالبة بالحفاظ على الملكية الفردية الصغيرة ورفض كل صور السلطة المنظمة، سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو دينية بحجة أنها غير ضرورية وغير مرغوب فيها. وتنكر الفوضوية أن رضا المحكومين هو الأساس الصالح للسلطة السياسية، وترى أن السلطة الوحيدة الشرعية والأخلاقية هي التي يمنحها الناس لأنفسهم. وبالتالي لا يمكن إرغام أحد على عمل لا ينبع من إرادته المستقلة، لأن التشريع وصنع القرار هما من حقوقه المطلقة، أي أن «كل مواطن هو مشرع نفسه»، لهذا اتهمت الفوضوية المؤسسات بتهديد الحرية الفردية وطالبت بإزالتها لضمان الحرية

الحقيقية للإنسان وفتح الطريق أمام مجتمع جديد يقوم على الارتباط التلقائي الحر بين المواطنين.

والفوضوية تؤكد إن الدولة تمارس السلطة العملية والقانونية على المجتمع برمته، فهى فعل اضطهاد، غير مطابق للحرية الإنسانية الحقيقية. وللقضاء على الاضطهاد وإرساء ملكوت الحرية، يجب استبدال سلطة الدولة بالجماعة المحكومة ذاتيًا، المتخلصة من كل سلطة مركزية فالدولة تؤدي إلى اضطهاد قسم من المجتمع من طرف قسم آخر. والفوضوية تحدد أن تحطيم الدولة سيكون بثورة، أو بعبارة أخرى عبر انتفاضة جماهيرية تدمر خلالها الطبقة العاملة، بفعلها المباشر، مؤسسات الدولة الأساسية (الجيش والشرطة والمحاكم والسجون) وتفككها.

وقد خصص "لينين" عمله النظري الأهم في كتابه «الدولة والثورة» للبرهنة على أن جوهر الثورة هو تدمير آلة الدولة. وحسب النظرية الماركسية، عندما تتحقق الاشتراكية على نحو نهائي على نطاق عالمي، وتزول الطبقات، ويبلغ الإنتاج مستوى توافر المنتجات الضرورية للجميع، وعندما تصير عادة العمل لمصلحة الجميع طبيعة ثابتة في البشر، ستفقد الدولة وظائفها وتتلاشى[٣٥].

ويؤمن الأناركيون أن الوسائل لا تنفصل عن الأهداف التي تستخدم لتحقيقها، ومن ثم فإن بناء المجتمع الأناركي لا يمكن أن يتم باستخدام السلطة ولا يمكن فرضه على المجتمع رغمًا عنه بأي سبيل، ولذلك يرفض الأناركيون السعي للاستيلاء على السلطة سواء أكان ذلك عن طريق صناديق الانتخاب أو عن طريق الانقلاب المسلح.

ويعتبر الفوضويين أن إنكارهم للدساتير والحكومات لا يؤدي إلى حالة اللاعدالة، ولكن إلى حالة العدالة الحقيقية المرتبطة بالتطور الحر للحركة الاجتماعية الإنسانية، وبالتحديد ميل الإنسان الطبيعي لمساعدة الغير. وقد استخدم مصطلح الفوضوية طوال قرون في الكتابات الغربية لتشير إلى حالة بلد أو إقليم جغرافي حال تفكك أو سقوط السلطة المركزية المسيطرة عليه، مما يؤدي إلى صعود قوى مختلفة تتصارع للحلول محلها محدثة حالة من الفوضى.

واللاسلطوية تعني الغياب التام للسلطة وليس تفكيك السلطة المركزية لسلطات متناحرة تحدث الفوضى في المجتمع، وهي تعني استبدال مؤسسات

الدولة المركزية والهرمية بمؤسسات شعبية أفقية (أي لا يكون فيه تراتبية هرمية وشبكية) أي لا مركزية ترتبط كل منها بالأخرى للتكامل ولإدارة الموارد المشتركة واتخاذ القرار فيما يخصها.

وهناك أربع مجموعات اجتماعية تشكل جذورًا اجتماعيًا للفوضوية: الحرفيون والفلاحون والطلاب والشباب العاطل، والقاسم المشترك بين هذه المجموعات هو موقعها الهامشي في المجتمع. وهذه الهامشية تنتج الفقر والاضطهاد والاستلاب وميلًا إلى التمرد بأشكال قصوى عنيفة، لكنها تنزع عنها القدرة الكامنة، الاقتصادية كما السياسية. إن مكامن ضعف وقوة الفوضوية بما هي أيديولوجيا تعكس على وجه الدقة مكامن قوة وضعف قاعدتها الاجتماعية. وقد مارست الفوضوية جاذبية على الذين يتمردون ضد هذا المجتمع، كما تمارس جاذبية خاصة على الشباب. وتعارض الفوضوية الفكرة التي مؤداها أن الجماهير – بحكم طبيعتها – بليدة أو أنانية، ومن ثم لابد لها من سلطة عليا تملى عليهم ما يجب أن يكون عليه السلوك، وأيضًا تمارس عليهم رقابة.

ورأى البعض أن من طبيعة الثورات أن تُخرج مخزونها الفكري والفلسفي والثقافي وكذلك الحركي. وبما أنه لكل فعل ردة فعل، فإن نشوء مثل هذه الجماعة«البلاك بلوك» قد جاء كردة فعل على ميليشيات الأحزاب الدينية، والتي مارست أعمالًا إرهابية كثيرة وحاولت بسط هيمنتها على المجتمع وتغيير الوجه الثقافي المصري. والآخر رأى أن هذه الظاهرة ظهرت في المشهد الثوري المصري مؤخرًا تجسيدًا لحالة الإحباط ونتيجة لغياب العدالة والقصاص وإهانة القانون، وبشكل عام ترتبط «البلاك بلوك» عالميًا بصورة أو بأخرى بفكر الأناركية، وهي فلسفة سياسية ترى الدولة غير مرغوب فيها، وغير ضرورية، وتعارض السلطة، كما أن تأسيس مجتمع متساوٍ قائم على العدالة والمساواة يعد من الأفكار الرئيسية لهذه الفلسفة[٣٦].

والبلاك بلوك هي مجموعات ذات ميول أناركية أو لا سلطوية تتميز في التظاهرات بلباسها الأسود وأقنعتها بهدف إخفاء الهوية حتى بين أفراد المجموعة نفسها، وترفع بلاك بلوك شعار السرية التامة، فهي ترفض الكشف عن هوية أعضائها بشكل شخصي، ويرفض أعضاؤها إظهار

وجوههم، كما يرفضون التعامل مع وسائل الإعلام، ويكتفون بتوجيه رسائلهم عبر اليوتيوب على شكل فيديوهات لا يمكن العبث بها[٣٧].

وفى المقابل ليست السياسة، في نظر إميل دوركايم، واقعًا قائمًا بذاته في استقلال عن المجتمع، بل هي من صميم التمثلات الجمعية. ومما يدل على ذلك، في نظره، أن الاشتراكية بوصفها تيارا من التيارات السياسية المعاصرة، إنما هي واقعة من وقائع الرأي العام أو شكلًا من أشكال الفعل الإنساني الذي يرمي إلى تحقيق مثل أعلى يتمحور حول قيم العدالة الاجتماعية والمساواة. إنها بهذا المعنى تصور سياسي لما ينبغي أن يكون عليه الواقع، أو حلم من أحلام الروح الجمعية، إنها بعبارة أخرى شكل من أشكال التمثلات الجمعية.

إن التصورات السياسية هي من جملة التمثلات الجمعية، تشترك معها في بعض الخصائص، وتتميز عنها بخصائص أخرى، وتتميز التمثلات الجمعية بكونها ضرورية بحكم ارتباطها الوثيق بالمحيط الاجتماعي وبنيته الأساسية، فلا وجود لمجتمع بدون تمثلات مشتركة. وعلى الرغم من كونها شديدة الصلة بالواقع، فإنها تحتفظ لنفسها بنوع من الاستقلال، وتتميز أيضًا بما تنطوي عليه من قوة الإكراه والإلزام. وتنطبق هذه الخصائص على السياسة أيضًا بوصفها واقعة من الوقائع الاجتماعية، ولذلك اعتبرت شكلًا من أشكال التمثلات الجمعية، وبوصفها كذلك فهى جزء من الضمير الجمعي. ومن هنا يمكن تعريف السياسة بأنها التمثلات التي تنظم المجتمع. ويمكن القول بعبارة أخرى، أن السياسة هي تجسيد للتمثلات الجمعية في مرحلة من مراحل تطور المجتمع، ويرتبط القول بهذا أنه كلما تغيرت التمثلات الجمعية أدى ذلك إلى حدوث تغير في مؤسسات الدولة [٣٨].

وهكذا، فإن ما كان يبدو للوهلة الأولى على أنه العقل المدبر، أصبح الآن عقلا مشتركا يتخذ القرارات بناء على موازين القوى بين طرفي عملية التفاعل، غير أن ذلك لا يلغي الدور المركزي للدولة فيما يتعلق بتدبير الشأن العام، ولكن هذا الدور لا يبرر انفراد الدولة بالقرار. وما أن تستفرد الدولة بالقرار حتى تجلب عليها غضب المجتمع، ذلك لأن قوة الدولة أو ضعفها إنما يتحددان وفقا لطبيعة التصورات المشتركة أو التمثلات الجمعية، بل إن التفاعل بين الطرفين يجري في نطاق التمثلات الجمعية التي تضفي على البعد السياسي للمجتمع معناه ودلالته، وتجعل منه كيانًا يشتغل بطريقة

متميزة. وقد يؤدي التغير في التمثلات الجمعية أو الرأي العام إلى حدوث أزمة سياسية عميقة أو تغير جذري في نظام الحكم. وقد يحدث التغير عندما ينعدم التوافق بين ما يتوقع كل طرف من الطرف الآخر. وإذا كان كل نشاط سياسي يتحدد بموازين القوى بين طرفي عمليتي التفاعل، فإن ذلك لا يلغي دور الدولة بوصفها الفاعل المحتكر لما يسميه ماكس فيبر بحق استعمال العنف المشروع[٣٩].

وفى كتابه "حول التقسيم الاجتماعي للعمل" يطرح دوركايم المسألة المتعلقة بطبيعة الجريمة ووظيفة العقاب في المجتمع، عندما يرتكب فرد ما جريمة شنيعة في حي من أحياء المدينة مثلا، حيث يثير ذلك سخط السكان، ويفصحون عن مشاعر مشتركة إزاء ذلك الحدث المؤلم، ويتشكل موقف مشترك ومتميز، ويتخذ شكل شعور جمعي أو عمومي قائم بذاته في استقلال عن شعور كل فرد مأخوذ على حدة، إنه "السخط العمومي"، حسب تعبير دوركايم، ذلك الانفعال الجمعي الذي يمتزج فيه سخط الفرد بسخط غيره من أفراد المجموعة البشرية التي ينتمي إليها ليشكل قوة تتجاوزهم جميعا وتفرض عليهم منطقها الجمعي المتميز. إنها التمثلات الجمعية في حالة غليان، حيث نجد مثل هذه الانفعالات الجمعية عند الحشود. وقد يتحول الأفراد الوديعون ذووا المزاج الهادئ المسالم إلى قوة عنيفة عندما يجتمعون، فيخضعون في سلوكهم لمنطق دينامية الجماعة، ويتحولون بالتالي إلى قوة عنيفة. هكذا يؤدي التفاعل بين الأفراد إلى تشكل تمثلات جديدة تتمتع بقوة خاصة مستقلة عن كل فرد مأخوذ على حدة، ولا يجد الفرد مناصا من الخضوع لها. والنتيجة هي أنه لا وجود للفرد المستقل بذاته تماما عن الحياة النفسية للجماعة، ولا يمكنه الإفلات تماما من قبضة التمثلات الجمعية.

إن هذه التمثلات هي القوة الأساسية التي تأجج انفعالات الفرد وتخرجه من ذاته، وتجعله تابعا للجماعة، خاضعا لنفوذها وإكراهاتها. إن قوة التمثلات الجمعية هي العامل الأساسي الذي يفسر، في نظر دوركايم، ظواهر الجريمة والعقاب في المجتمع. إن الجريمةمن وجهة النظر هذه، هي الفعل الذي يلحق الأذى بما يسمى "الضمير الجمعي". يتمثل هذا الأخير في "رد الفعل الانفعالي الذي يتحقق بدرجات متفاوتة [حسب خطورة الفعل المرتكب] والذي يمارسه المجتمع بواسطة كيان مؤسساتي على

الأفراد الذين قاموا بخرق بعض قواعد السلوك". وينشأ رد الفعل هذا عن وجود تصور جماعي لما هو مشروع ومباح. وفي غياب هذا التصورلن يكون للعقاب معنى.

ولقد انكب دوركايم على دراسة وظائف الدولة ودورها في الحياة السياسية من خلال تحليل وظيفة العقوبة القانونية. وتبين له أن للدولة وظيفتان أساسيتان: تتجلى إحداهما من خلال الحياة النفسية للدولة التي تعكس الحياة النفسية للمجتمع الكلي. والمقصود بذلك أن وظيفة الدولة تكمن في إعادة صياغة ما تنطوي عليه المشاعر الجماعية بشكل ضمني من أوامر ونواهي صياغة شكلية، وينظمها حسب أهميتها بشكل عقلاني ومتراتب، مما يجعل العقوبة تتناسبمع خطورة الانحراف. ويكون من نتائج ذلك ازدياد ولاء الأفراد للدولة عندما تكون عادلة في تطبيعها للقانون مراعية لمدى تناسب العقوبات مع درجة خطورة الانحراف عن القواعد والمعايير التي يفرضها الضمير الجمعي. يبدو وكأن المجتمع يضع مشاعره الجماعية بين يدي الدولة ويفوض لها حق ترجمتها إلى قوانين والسهر على تنفيذ مقتضياتها نيابة عنه. وهنا تأتى الوظيفة الثانية للدولة، حيث تضطلع الدولة بحق ممارسة العنف المشروع: تعاقب، وتسجن، وتقتل من خلال تطبيق أحكام الإعدام. وهكذا اكتسبت الدولة وظيفة القمع الاجتماعي إلى جانب وظيفتها التأسيسية المتمثلة في ترجمة ما تنطوي عليه التمثلات الجمعية من قواعد ومعايير إلى قوانين وأحكام.

ويكتسب الميل إلى إضفاء الطابع الشكلي على آليات الضبط المرتبطة بالضمير الجمعي أهمية بالغة في تفسير دوركايم لنشوء المؤسسات السياسية. ولذلك تعتبر الدولة في نظر دوركايم مؤسسة سياسية بامتياز. وقد فرضت هذه المؤسسة نفسها عندما بلغ المجتمع درجة من التطور والتعقيد فقدت معها آليات الضبط التقليدية فعاليتها. يقول دوركايم: "إنه بمجرد أن بلغت المجتمعات السياسية درجة معينة من التعقيد، لم يعد بإمكانها أن تشتغل بشكل جماعي إلا من خلال تدخل الدولة" [٤٠].

ويرى دوركايم أن مفهوم الدولة هو من جملة المفاهيم الفضفاضة التي كثيرا ما تستعمل من غير أن يتم تحديد مضمونها بدقة. فهو يستعمل تارة للدلالة على المجتمع السياسي في كليته، ويستعمل تارة أخرى للدلالة على جزء معين من ذلك المجتمع. وحتى في الحالة التي يستعمل فيها

بالمعنى الثاني فإن حدوده قد تتسع لتشمل العديد من المؤسسات دون تمييز. فقد يشمل مفهوم الدولة الكنيسة، والجيش، والجامعة وغيرها من المؤسسات العمومية التي تندرج في تكوين الدولة.

وتكمن وظيفة الدولة، حسب دوركايم، في إحلال التفكير العقلاني في المجتمع وتنظيمه بطريقة عقلانية. وتزداد أهمية التفكير العقلاني في المجتمع كلما نمت الدولة وتطورت. ولا يعني ذلك أن الدولة هي السبب في وجود الروح الجماعية وانتشارها في الجسم الاجتماعي، ذلك لأن التاريخ يشهد على وجود مجتمعات سياسية بدون دولة. إن ما يجعل التماسك الاجتماعي ممكنا هي المعتقدات المشتركة التي تحرك الأفراد بشكل غامض ولاشعوري تقريبا، وتجعل منهم كتلة واحدة هي عبارة عن حشد دائم يتحرك بطريقة غير واعية تماما، تحركه قوة انفعالية غالبا ما تقع خارج دائرة الوعي الفردي مما قد يجعل من الحشد قوة عنيفة ومدمرة. ويرجع السبب في ذلك إلى عدم توفر الحشد على مركز يستقبل تلك القوى العمياء ويتفكر فيها ويعقلنها قبل أن تقدم على فعل غير محسوب العواقب. وهنا بالضبط يكمن دور الدولة المتمثل في التحكم العقلاني في انفعالات المجتمع.

وتكمن وظيفة الدولة إذن في توجيه الضمير الجمعي في الاتجاه الصحيح، لأن غياب مركز القرار العقلاني قد يؤدي إلى تصريف القوة الانفعالية المرتبطة بالضمير الجمعي أو الحشد بشكل عشوائي مدمر بسبب طبيعتها غير العقلانية. وقد يحصل ذلك عندما ينشب خلاف في المجتمع ويكون جهاز الدولة ضعيفًا غير قادر على معالجة أسباب الخلاف بطريقة عقلانية، مما قد يؤدي إلى نشوب حرب أهلية تأتي على الأخضر واليابس. أما إذا كانت الدولة قوية وعقلانية، فإنها ستطرح القضايا الخلافية على طاولة التداول والنقاش، وتتخذ القرار المناسب الذي يرضي الجميع، تلك هي وظيفة الدولة ومبرر وجودها في المجتمعات المعقدة [٤١].

إن ما يسمح للدولة بالاضطلاع بهذه المهمة هو موقعها المركزي الذي تتقاطع عنده كل المصالح ويجعل منها كيانا محايدا بالنظر إلى كل طرف من الأطراف المتنافسة في المجتمع. ونظرا لموقعها المركزي والمحايد في المجتمع تستطيع الدولة أن تدرك مدى تعقد الوضعيات التي تنشأ عن التفاعل بين مختلف التوجهات الاجتماعية، وتستحضر في معالجتها للقضايا الخلافية ما غاب عن إدراك كل طرف من الأطراف

المتنافسة، وبذلك يمكنها الوصول إلى حلول مرضية ما كان من الممكن أن تخطر ببال القوى المتصارعة، إن الدولة بهذا المعنى هي العقل المدبر وقد حل محل القوة الانفعالية الغامضة.

وتقتضي العدالة أن تعمل الدولة على الحد من مطامع كل من يريد استغلال مقومات العيش المشترك من أجل تحقيق مصالحه الأنانية على حساب المصلحة العامة ومصالح غيره من المواطنين، ومن هنا تأتي الوظيفة الأخلاقية للدولة حسب دوركايم، ولكن ذلك لا يعني في نظره، أن تنفرد الدولة بالقرار، وتفعل ما تشاء دون أخذ بعين الاعتبار توجهات الرأي العام. هذا مع العلم أن قوة الدولة مستمدة من قوة الضمير الجمعي، إنها القوة "المحايثة للضمير المشترك" حسب تعبيره، ولذلك لزم إخضاعها لمراقبة القوى الثانوية التي تخضع لنفوذها، وإلا تحولت إلى دولة استبدادية ذات سلطة مطلقة لا حدود لها، وبدل أن تكون الدولة وسيلة في خدمة المجتمع تحولت إلى غاية تستقطب جهود الأفراد وتسخر كل إرادة لدعمها وتقويتها أكثر فأكثر، حتى تحولت إلى قوة مستبدة تقهر إرادة المجتمع.

وبدل أن تكون أداة لتحقيق المساواة والعدالة بين المواطنين تصبح غاية في حد ذاتها. ويكون من نتائج ذلك فقدان الثقة في مؤسسات الدولة مما قد يؤدي إلى نزع المشروعية عنها. ذلك لأن سلطة الدولة إنما نشأت كرد فعل إزاء توقعات الضمير الجمعي بوصفها سلطة مُفوَّضة تعبر عن إرادة الروح الجماعية. ولذلك يتوقع أن تسحب منها إذا استبدت برأيها ونصبت نفسها بوصفها قوة قائمة بذاتها.

٣– <u>اللادين كآليه لتفكيك الضمير الجمعي</u>:

ترفض الأناركية أيضًا كل أشكال السلطة الممارسة داخل المجتمع في مظاهر التمييز على أساس الجنس والعنصر والدين... الخ، وينبغي هنا توضيح أن الأناركية ترفض أن تمارس الدولة أو أي مؤسسة أي سلطة بأسم الدين، ولكنها لا تعادي الدين في ذاته لأن حرية الاعتقاد وحرية ممارسة الشعائر الدينية تدخل جميعًا في إطار الحقوق الأساسية للفرد والمجتمع، على الأساس نفسه ترفض الأناركية الفاشية القومية التي تسعى لتذويب الأقليات العرقية وقمع الاختلاف الثقافي، ولكنها لا ترفض أو تتدخل في الانتماءات القومية ومشاعر الوطنية والخصوصية الثقافية للجماعات البشرية.

وبالرغم من كون الدولة هي الموضوع المميز الذي هاجمه الفوضويون، إلا أن أي مؤسسة كالدولة تدان بالطريقة نفسها، وظهر نقد الفوضويون للكنيسة كمؤسسة سلطوية، فأن معظم الفوضويون ادعوا بأن الإيمان بالله هو رد فعل تجاه الحرمان الاجتماعي. وتمثل نقدهم للكنيسة في جانبين:-

أولًا : أن سلطة القس أو الكاهن على المؤمن تبدو دومًا كمصدر لكل السلطات، بمعنى آخر فإن الشخص الذي يقبل رجوعه إلى سلطة آخر أكثر حكمة منه في الأمور الروحانية، هو ما يسهل قبوله لأي نوع آخر من السلطة كسلطة القائد السياسي على سبيل المثال.

ثانيًا : أن الكنيسة قد تستخدم مباشرة لخلق شرعية للدولة، فالقس يمكنه استخدام سلطته لينشر مبادئ الطاعة للسلطة السياسية.

وفى المقابل ناقش دوركايم في كتابه تقسيم العمل بأنه في المجتمعات التقليدية / البدائية يلعب الدين الطوطمي دورًا هامًا في توحيد الأفراد من خلال خلق ضمير مشترك Conscience Collective، ويكون محتوى الضمير الشخصي في مثل هذا النوع من المجتمعات مشترك بشكل كبير مع جميع الأفراد في نفس المجتمع، وهذا يخلق تضامن اجتماعي آلي من خلال الشبه المتبادل(٤٢).

ولقد ركز إميل دوركايم على ما يسهم به الدين في تحديد ذاتية الأفراد، وتقوية ذاتية المجموع، فالدين يقوي ذاتية الجماعة، فهو يقدم تفسيرًا لمعنى الجماعة وسط العالم المحيط به، وقد شبه دوركايم الدين بأنه نوع من الغراء لربط الأفراد وتماسك بعضهم ببعض برغم ما يوجد بينهم من اختلافات في الاهتمامات، كما أنه يساعد الأفراد على الوعي بأنفسهم كمجتمع أخلاقي يسوده قيم عامة، ورسالة عامة في الحياة. ويستند المجتمع في توازنه عند دوركايم على قواعد ونواميس وقيم توحي إلى الوعي باللحمة الحيوية التي تهدف لاجتناب الفوضى بين الأفراد.

وأنه حين يفشل المجتمع في توظيف مصادر رمزية، أو في بث أعراف قادرة على خلق لُحمة بين الأفراد ومجموع القيم الجماعية، فلا يحسون بوعي جماعي يسمو فوق مختلف أشكال الوعي الفردي، عندها تتولد سياقات التحلل، فالدين هنا عامل تماسك اجتماعى(٤٣).

وفـي كتـاب دوركـايم «الصـور الأولـى» ينـاقش مـرارًا التجمعـات الدينية، فهو يقول حرفيًا بأن ممارسة الشعيرة الدينية مؤثرة في نشوء الكائن الأخلاقي الذي يعتمد على الأفراد ويعتمدون عليه، وإن لهذا الكائن وجودًا الآن وهو المجتمع(٤٤).

وكما يرى دوركايم أن الضبط الاجتماعي والوجود الاجتماعي ذاته يرتكز على مفهوم الشعور الجمعي، وأن المنطق يُخلق ويقوى في كل مجتمع بواسطة الدين، وأن الدين عند دوركايم يمدنا بالفهم وبدونه لا نستطيع أن نفكر(٤٥).

كما يرى دوركايم أن وظيفة الدين هي ربط الأفراد بمجتمعهم بقوة عن طريق الفهم، أي فهم الواقع والعلاقات الاجتماعية، والاتصال، بمعنى اتصال الأفراد بعضهم ببعض على أساس من المفاهيم المشتركة. والتحديد Specify أي تنظيم الأفكار والعلاقات الاجتماعية، عن طريق هذه الأشياء يتقبل الأفراد الدين على أنه شيء ملزم ومطلق(٤٦).

والدين يؤدي وظيفة أساسية في الضبط الاجتماعي داخل المجتمع، فكل ديانة إنما ترتكز على عدد من السلوكيات المسموح بها وعدد آخر من السلوكيات المحرمة، فالوظيفة الأساسية للدين عند دوركايم هي خلق وتدعيم الاحتفاظ بالتضامن الاجتماعي(٤٧).

كما يعزو اميل دور كايم نشأة الديانة إلى الحياة الاجتماعية، فالدين في نظره حقيقة اجتماعية إنسانية فقط، لأن له دورًا حيويًا في الحفاظ على النظام والتركيبة الاجتماعية فحسب، فالأفراد يخترعون الدين وما يلحقه من عادات وتقاليد وشعائر، لأن في ذلك تضامنًا جمعيًا لهم وقوة لمجتمعهم، أي أن منشأ الدين اجتماعي وليس غيبي. ويشدد دوركايم على أن الديانات لا تنحصر في المعتقدات فحسب، بل تتجاوزها لتتناول الأنشطة الطقوسية والاحتفالية الدورية التي يتجمع فيها المؤمنون ويلتقون سويًا، وفي هذه الاحتفالات الجمعية، يتأكد ويترسخ الإحساس بالتضامن الاجتماعي، وفي مثل هذه التجمعات، ينأى أفراد الجماعة بأنفسهم عن المشاغل اليومية للحياة الاجتماعية(٤٨).

والدين عند دوركايم من حيث دوره كآلية لتماسك الضمير الجمعى من خلال التمثلات الجمعية والتصورات والوعى الجمعى، يرى "اميل دور كايم"، أن الدين يلعب دوره في الحفاظ على تماسك المجتمع واستقراره.

وعلى الجانب الآخر يسعى "ماكس فيبر"، في تحديده للدين إلى الربط بينه وبين التغير الاجتماعي، ويرفض فيبر وجهة نظر "ماركس"، في الدين باعتباره قوة محافظة، مؤكدًا أن بعض الحركات والتوجهات الدينية التي استلهمت جانبًا من تعاليم الدين، قد أحدثت تحولات اجتماعية مثيرة في الحياة الغربية والشرقية على السواء.

والمجتمع عند دوركايم من حيث جوهره له جانب مقدس، إذن هناك عبادة للمجتمع، وهى أساس الديانة الإلحادية (عبادة قوة المجتمع). انطلق دوركايم في تفسيره لارتباط الدين بالثورة، والتي هي مجموعة من الانفعال الحماسي المقدس كمثال للعملية النفسية الاجتماعية التي تتولد منها الأديان، مثل الثورة الفرنسية التي اجتاح الأفراد خلالها نوع من الحماس الشبه ديني وكلمات مثل "أمة" و "حرية" و "ثورة"، كانت مشحونة بقيم قداسية. وستحصل ثورات وانتفاضات جديدة، وسيحين الوقت لتنجرف المجتمعات المعاصرة، مرة أخرى في الجنون الديني، لتتكون منه أديان جديدة[٤٩].

وتجد الدراسة الحالية أن نظرية دوركايم للضمير الجمعي والتمثل والوعي الجمعي هي الأقرب لتفسير مقولات الدراسة الحالية. ومن خلال الاطار النظرى لفكر دوركايم نجد اتفاقه مع الاناركية فى سلطة وقهر الضمير الجمعى وتمثلاته بعناصره المختلفة سواء كان سلطة دينية أو سياسية أو اجتماعية، ويختلف مع الفكر الاناركى فى أهمية الحفاظ على عناصر هذا الضمير الجمعى لأهميته فى تماسك عناصر المجتمع، فالتغير في الحقائق الاجتماعية المادية مثل القانون يعتبر في نسق دوركايم النظري مجرد انعكاسات للتغير في عوامل أكثر أهمية، تلك هي العوامل غير المادية مثل الأخلاق، والضمير الجمعي، والتمثل الجمعي[٥٠]. وقد اهتم دوركايم بالمشاكل الأخلاقية في عصره مما جعله يوجه كل اهتمامه إلى دراسة الجوانب الأخلاقية للحياة الاجتماعية.

وكانت نظرية دوركايم عن العقل الجمعي التي تقول : إن الإنسان حيوان خاضع إلى الجبرية الاجتماعية، أو قهر اجتماعي يفرضه عليه العقل الجمعي للقطيع البشري، فدوركايم ينفي أن يكون الدين والزواج والأسرة فطرية في الإنسان، وإنما هي من عمل العقل الجمعي ذي السطوة القاهرة على الأفراد. وهذا العقل دائم التغير والتطور والتشكل، فإذا قال العقل الجمعي في طور من أطواره، ليكن دين أو زواج فليكن ذلك، أما إذا قال

حسب هواه، ليكن لا دين ولا زواج ولا أسرة، فسرعان ما يخضع الأفراد لقهره فينسلخون من دينهم وأخلاقهم وتقاليدهم.

كما تقوم نظرية العقل الجمعي – عند دوركايم – على أساس التمييز بين ما يسميه بالتصورات الفردية Representations Individual التي ترتبط بالأفراد والمجموعات في بيئات وثقافات معينة، لا تصلح للتعميم زمانيًا أو مكانيًا، والتصورات الجمعية Collective Representation المشتركة بين الشعوب وبين الأجيال التي تؤثر في سلوكهم دون وعي مباشر بها، وتمثل تلك التصورات الروح أو المادة التي يقوم عليها المجتمع. ويؤكد دوركايم على أن الحياة العقلية تتكون من تيار من التصورات القارة في أذهان الناس بعضها فردي وبعضها جمعي. والتصورات الفردية تتحول بدورها مع مرور الزمن إلى تصورات جماعية.

٤ – أبعاد الإلحاد الجديد فى المجتمعات العربية والإسلامية فى ضوء النظرية الاجتماعية

وكان لطبيعة المجتمع الشرقي الذى هو عبارة عن مجتمع جماعي بعكس المجتمع الأوروبي الذى يتغلب عليه صفة الانفرادية، فالإنسان الشرقي ينتمى أولًا للعائلة ثم القبيلة أو العشيرة ثم الطائفة، وأي قرار يتخذه يجب أن يراعى فيه مصلحة مجموعة أخرى محيطة به قبل مصلحته الفردية وقناعته الشخصية، فالإنسان الغربي له القدرة على إعلان الإلحاد كقرار فردى دون أن يتبع هذا القرار بوصمة عار من قبل المجتمع، بعكس الإنسان الشرقي الذى سيصبح معزولًا عن أقرب المقربين إليه إذا أعلن الإلحاد، لكون دين الإسلام دينًا ذا أبعاد اجتماعية يدخل في تفاصيل الحياة اليومية. وهنا يحدث ارتباط شرطي بين الإلحاد وتكوين أو بنية العقل العربي، والعقل الذى نعنيه هنا هو العقل الذى تكون وتشكل داخل الثقافة العربية، في نفس الوقت الذى عمل هو نفسه على إنتاجها وإعادة إنتاجها.

ولكن ما يهم الدراسة وما يخص الإلحاد مكونًا من أهم مكونات العقل العربي هي اللغة، فالعربى يعتبر السلطة التي لها عليه تعبيرًا ليس فقط عن قوتها، بل عن قوته هو أيضًا. وضعف اللغة العربية-الدينية (باعتبار ان اللغة العربية هى لغة القرآن) كمكون هام للضمير الجمعى والذي يمكن رصدها من خلال شقين: الشق الأول أن اللغة – تساهم مساهمة أساسية في تحديد نظرة الإنسان إلى الكون وتصوره له ككل وكأجزاء، أي أن اللغة

ليست مجرد أداة للفكر، بل هي أيضًا القالب الذى يتشكل فيه الفكر[٥١]، فاللغة قرآنًا قبل أن تكون تاريخًا وجغرافيا، وهي قوة ورأسمال لغوى. والشق الثانى يتمثل فى انتشار مفاهيمية عصر العلم. وقد أصبح شباب المجتمع المصري أكثر قبولًا واقترابًا لمفاهيم هذا العصر، مما أثر سلبًا على مفاهيمية اللغة العربية – القرآنية. وكاد المعوق اللغوي أن يتآكل تمامًا في ظل حملة محمومة لترجمة كثير من المواد الإلحادية للغة العربية أو تعلم لغة ما جاء في مواده الإلحادية، فمع انفتاح قنوات الاتصال وذوبان الجدر الثقافية الفاصلة، وانتهاء زمن حارس البوابة، لم يعد للمعوق اللغوي تأثير كبير في الوصول إلى تلك المواد[٥٢].

والدين يعد رأسمال يعمل المجتمع على استثماره في تحقيق الاستقرار الاجتماعي أو استنفار عواطف الصحوة باتجاه التقدم. ويتصل بذلك أن ضرب الهوية العربية في مقتل يمكن أن يكون عن طريق تبديد رأس المال الديني، من خلال نشر حالة الفوضى الدينية فى سياق الجماعة العربية، حتى لا يصبح الدين آلية لتحقيق التماسك والاستقرار الجماعي، ولا حتى آلية للتغيير والتحدي الاجتماعي. استنادًا إلى ذلك فإننا إذا تأملنا المشهد المعاصر فسوف نجد مجموعة من الممارسات الخارجية والداخلية التي تسعى إلى هدر رأسمال المال الديني للأمة كمدخل لتشويه هويتها حتى تبديدها[٥٣].

ومن أهم عوامل تبديد رأس المال الدينى هو ارتباطه بالسلطة، وتتحد السلطة بأشكالها المختلفة مع امتلاك رأس المال الديني بعناصر مختلفة، والمتمثلة فيما يلي :-

- المعاني كطاقة رمزية دافعة للفعل والتي تتواجد على مستويات ثلاثة، من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة التي تشكل جوهر الضمير الأخلاقي للفرد، ومن خلال ثقافة المجتمع، والتي تشكل من خلالها منظومات القيم الوجدانية والتفضيلية، ومن خلال التوقعات المتبادلة، وهي التوقعات التي تعمق الالتزام بالمعاني الدينية، ومن ثم تطور نوعًا من الثقة المتبادلة.

غير أن التفاعل قد يسير في اتجاه عكسي، حيث قد تعمل الظروف في اتجاه هدر رأس المال الديني، وذلك بأن تعمل المؤسسة والنخبة الدينية اتجاه فرض الجمود على رأس المال الديني، بحيث تجعله

محافظًا غير قابل للتداول عبر التفاعلات اليومية، ومن ثم فاقدًا للفاعلية، أو حينما تتجه الأنظمة السياسية لاستغلال الدين في فرض خضوع العامة[٥٤].

ويرتبط ما سبق بما يلي :-

- المعاني الدينية في بناء الثقة.
- النزعة إلى التبادل لتحقيق مصالح الجماعة والفرد.
- تأسيس الشبكات والارتباطات وتبلور الأبنية.

وهناك موقفان يتضمنان إهدارًا للمعاني الدينية برغم تناقض هذين الموقفين مع بعضهما البعض، فيتمثل المصدر الأول لهدر رأس المال الدينفى التطرف الديني والذي يسقط فاعلية الدين في تكوينه الأساسي، و تعمل على تبديد رأس المال الديني وتشويه الهوية العربية للممارسات التي تقوم بها أحيانًا بعض جماعات التيار المتطرف بالإسلام.

هذا من ناحية، وقد أرجع بعض الملاحدة أن السبب في الإلحاد هو أن المتشددين من رجال الدين وبعض المخرفين أو المنحرفين هم السبب في إلحاد الشباب، وأن التطرف الديني يدفع إلى التطرف الإلحادي، هذا من ناحية أخرى، كما ان التطرف الدينى ظهر بشكل أكثر مأساوية فى ظاهرة الإفتاء المتعدد، والتى تعتبر من الظواهر التي برزت على الساحة الإعلامية والدينية العربية، الأمر الذى يشيع حالة من الفوضى في بناء الدين، حيث تشوه هذه التفسيرات مقولات الدين عند الخاصة، كما تشيع الفوضى عند العامة، بحيث يؤدى هذا التراكم الفوضوي للتفسيرات الدينية إلى تشكيل عائق أمام المواطن لفهم صحيح الدين[٥٥].

ويشكل المصدر الثانى لهدر رأس المال الدينفى التطرف العلماني الذي تعتبره الدراسة أحد أهم أسباب الإلحاد، والذي ترى من خلاله العلمانية الدين إضافة ينبغي إزالتها من بنية المجتمع. وأن غياب المعاني الروحية تشكل العنصر الذي ينفي بنية الحضارة ويؤدي إلى انهيارها، كما يؤكد ذلك فرنسيس فوكاياما في كتابه نهاية نظام The End of Order، حيث المطالبة بالعودة إلى القيم والأخلاق التي بدأ غيابها يلعب دورًا هامًا في تآكل رأس المال الاجتماعي داخل الحضارة الغربية، مما قد يؤدي إلى تآكل أشكال رأس المال الأخرى بصورة تدريجية[٥٦].

وبطبيعة الحال فإن التطرف العلماني من شأنه أن يثبت المعاني الدينية، باعتبارها معاني مرفوض أن توجه وتضبط التفاعل في المجتمع،

في هذا الإطار نجد أن بعض المواقف تطالب باجتثاث الدين من جذوره، بينما تطالب مواقف علمانية أخرى بحصار الدين في حدود الضمير الفردي، وهو ما يعني أن الموقف العلماني المتطرف يسعى إما إلى تبديد الفاعلية الدينية كلية أو على الأقل تقليصها متبعًا في ذلك بصورة حرفية ذات منطق التفكير الغربي(٥٧).

وقد ربطت بعض الدراسات الإلحاد بالعلمانية، وأخرى ربطت الإلحاد بانهيار الخصوبة كملمح من ملامح العلمانية وخاصة أن الأديان السماوية الثلاثة تحبب كثرة الإنجاب، أو بقول آخر أن انهيار الدين يؤدي إلى تقليل الخصوبة والتي بدورها تقلل المعوض الثانوي والذي يعتبر جزء من قوة الدين(٥٨).

ويرى التفكير النقدي أنه ليس هناك شيء مقدس، ورؤيته للعالم ترتكز على السببية والمنطق، وبذلك فإن العملية التي توجه هذا التفكير تسمح وتشجع على التعدد في رؤية العالم، وقد أكد بيتربيرجر Peter Bergerعلى أن ظاهرة التعددية Pluralism ترتبط بنائيًا واجتماعيًا مع علمانية الوعي، وبالتالي فإن الإلحاد أو الانحسار الديني عند بيرجر يرجع إلى عملية العلمانية. وان فرضية اننا نعيش فى عالم علمانهى فرضيه زائفه، وان العالم اليوم هو عالم دينى بشراسه كما كان دائمًا، وان الإلحاد هو أحد الخيارات الدينيه بجانب أحوال أخرى(٥٩).

وقد أشار بيرجر إلى أن التعددية هي أزمة خطيرة "Acute Crisis"، يتعرض لها الأفراد، ويتولد عنها الشعور بالأنومي. أي أن تدخل التفكير النقدي في تحديد رؤية العالم يؤدي إلى الأنومي والقلق الوجودي "Existential anxliety" الذي يؤدي إلى انحراف الأفراد عن الوضع السوي، كما يرى بيرجر أن الوظائف المعوقة التي تنتج عن السماح بتعدد رؤى العالم وانحسار الشعور بالمقدس لا تقع على الأفراد فقط، وإنما يتضمن تهديدًا لاستقرار المجتمع ككل(٦٠).

وقد أكد بارسونز أن الدين أصبح من المسائل الخاصة، وهو زيادة في الاختيار الواعي للفرد لوجهة نظره الدينية، فليس من المعقول أن يفرض على الفرد دين معين أو أن يجد نفسه منتميًا إلى دين ليس بناءً على اختياره.

كما يوضح أودي T. O'dea أن العالم المقدس أخذ في الانحسار والتأخر بسبب عقلانية الفكر والثقة المتزايدة في العقل والمنطق والبحوث

العلمية. وقد أعطى أودي أهمية إلى التحول من الأسطورة إلى المنطقFrom Myth to Logic ويعتقد أودي أن التركيز على العقلانية والسببية المنطقية والتجريبية تقود إلى عدم الاعتقاد في الإله، فمتى يفسر العالم من خلال العلم، فإن الحاجة إلى البعد المتسامي تضعف، وهذا يفسر عدم اهتمام كثير من الأفراد بالدين الآن، وأن عملية علمانية الثقافة انتهت وتتمثل في انحسار الدين (الإلحاد)[٦١].

كما يقال إن الإلحاد في مصر هو تعبير عن فراغ روحي خلقته مادية العالم الذى أنتجه عصر الثورات الصناعية الثلاث، ودون أن نمر في سياق أي من تلك الثورات التي نستخدم أدواتها دون أن نكون جزء منها[٦٢].

ومادية العالم الصناعية المرتبطة بالحداثة التي لدينا، هي حداثة ذات طبيعة خاصة، تولد تناقضها وجدلها الخاص ويكمن التناقض في رفض الأساس العقلي الذى تقوم عليه الحضارة الغربية في نفس الوقت الذى تستخدم فيه منتجات هذا العقل على نطاق واسع. إن أكثر الفئات الاجتماعية تميزًا في المجتمع المصري هي هذه الفئات التي تحافظ على علاقات وثيقة بمركز الثقافة العالمية (المصدر الرئيسي للحداثة) وبالدولة، كأنها وسائط نقل هذه الثقافة، ويتحدد هذا الوضع من خلال فرص الحياة المتاحة أمام هذه الفئات وطبيعة الأنشطة الاقتصادية التي تنغمس فيها. إنها تسعى إلى تملك كل عناصر الثقافة الحديثة[٦٣].

ولا شك أن الإلحاد الجديد له أبعاد سياسية خارجية، من أهمها الترويج للخوف من الإسلام واضطهاده (إسلامو فوبيا Islam phobia)، فكتابات مجموعة الأربعة تتضح بكراهية شديدة للإسلام، ويقول "ويليام ايمرسون" مشيرًا بأنه ليس الجديد في الإلحاد الجديد عدوانيته ووقاحته فقط، أو الترويج له إعلاميًا، أو التناول العلمي للدين، ولكن أشد الجديد ظهورًا هو مهاجمة الممارسات الإسلامية بل والإسلام ذاته[٦٤].

وهناك آلية أخرى لتبديد رأس المال الديني من خلال ترك الغير يعبث بالمعاني الدينية، مثل القوى العالمية التي تسعى الآن نحو تدمير مخزون رأسمالنا الديني الذي يتضمن تبديد المعاني القادرة على تعبئتنا، سواء من خلال نزع آيات الجهاد والمقاومة أو نزع الآيات القرآنية المتعلقة بالنظرة السلبية لليهود أو التوريث الإسلامي، وضربة التعليم الديني في مقتل إلى آخرة[٦٥].

ولقد أخضعت سياسات الإصلاح والتحديث الخطاب الديني لخدمة أغراضها دون السماح لأى حركة تنويرية داخل الخطاب الديني للوصول إلى دائرة الخطاب الرسمي للدولة الحديثة، التي هيمنت على المجتمع في علاقته الخاضعة لمتطلبات النظام الرأسمالي العالمي(٦٦).

وفي ضوء ذلك نستطيع أن نفهم لماذا اضمحلت حركة الإجتهاد والتنوير الديني، ولماذا تحول الخطاب الديني إلى مجرد تفسيرات جامدة للنصوص، سواء في الموقف المؤيد للسلطة الرسمية أو الموقف المناوئ لها.

ويتخذ الهجوم الغربي - بخاصة القوى المسيطرة على النظام العالمي - على الإسلام أساليب عديدة، من هذه الأساليب على المستوى الفكري اعتبار الإسلام هو مصدر تهديد للحضارة الغربية، وبالتالي ربط الإسلام بالتطرف وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١م.

والمقصود بالإلحاد الجديد، تيار من الملحدين في تبنى الإلحاد وعرضه وطريقة تعاملهم مع المتدنيين بل ومع الملحدين القدماء. وقد كشف عبدالله العجيري عن تحول الإلحاد من قضية فردية إلى تشكيل ميليشيات إلحادية فكرية منظمة على إثر أحداث ٩/١١ في أمريكا، على اعتبار أن هذا الحادث كان الدين هو الدافع خلفه، وأنه حان الوقت لمحاربة الدين منبع الشرور. إي استعمال أداة الإرهاب في حرب الأديان، أن ممارسه الشرور باسم الدين، هي أشهر الأدوات المستعملة في خطابهم الإلحادي الجديد التي من خلالها يحاربون الدين بضراوة لامتناهية، بل تشكل هذه المسألة السمة المركزية للكثير من كتابات وأطروحات الإلحاد الجديد(٦٧).

وإذا كانت القطط لم تمثل قطيعًا Herd بعد، فإن أعدادًا معقولة منها تستطيع أن تصدر ضوضاء مزعجة لا يمكن تجاهلها، هكذا يحدد كبير الملاحدة الجدد ريتشارد دوكنزRichard Dawkins لطلائع قطيعه في كتابه "وهم الإله"، منهج العمل في الفترة القادمة، المزيد والمزيد من الصراخ والضوضاء في مواجهة الديانات(٦٨).

فهم يمتلكون لغة شديدة العدائية للدين ولمبدأ التدين ولقضية الإيمان بالله، حتى تم توصيف الظاهرة الإلحادية الجديدة في بعض الدوائر الفكرية

الغربية بـ "ميليشيات الإلحاد"، وذلك بسبب النمط العدائي الشديد الذى يتميز به هذا الخطاب الإلحادي[٦٩].

ولقد كان الإلحاد في سياقه التاريخي إجمالًا يمثل خطابًا ميالًا نسبيًا إلى قدر من الحيادية من الموقف الديني، ولم يكن لديه تلك الحماسة الكبيرة لممارسة الدعوة والتبشير بقضية الإلحاد، بل كانت قضية الإيمان قضية شخصية متعلقة بالأفراد لا تستفز الملاحدة كثيرًا.

أما الإلحاد الجديد فيتم دائمًا من خلال السعي في كسب الأتباع والمتحولين، وقد اتخذ نهجًا جديدًا وأشكالًا متعددة وعمل على مسارات متعددة أهمها:-

١ - التأليف والكتابة، مثل كتاب "نهاية الإيمان"، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وكتاب "الإرادة الحرة"، وكتاب "تنشئة الأحرار فكريًا". وهذا ليس للكبار فقط، بل عملوا على تبسيط المفاهيم الإلحادية للأطفال للترويج للفكر الإلحادي مثل دوكنز الذى ألف كتابًا باسم "سحر الحقيقة. . كيف تعرف ما هو حقيقة فعلًا"، كما أن هناك كتب تربوية تقدم ارشادات للملاحدة في كيفية تنشئة أطفالهم وفق منظور إلحادي، مثل كتاب "تربية الأطفال بعيدًا عن الإيمان".

وكذا اقامة الاحتفالات والأعياد لمناسبات إلحادية، منها: يوم الزندقة والكفر والتجديف، تم الإعلان عنه في ٢٠٠٩م، وهو يوم ٣٠ من سبتمبر، وسبب اختيار هذا اليوم خصيصًا أنه اليوم الذى نشرت فيه الصحف الدنماركية الرسوم المسيئة للنبى (ص)[٧٠].

٢. البرامج الفضائية والإذاعية وإنشاء مواقع على شبكة الإنترنت[٧١]. فالمتصفح للمواقع والصفحات الإلحادية على النت يدرك بوضوح أن هناك حملات منظمة باحترافية عالية تركز على إثارة الشبهات حول القرآن الكريم ورسول الإسلام (ص)، وكذلك الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي. ومما لاشك فيه أن شبكة المعلومات قد يسرت اطلاع الشباب على ما يموج به العالم من أفكار إلحادية، كما سمحت شبكات التواصل الاجتماعي المختلفة بتبادل هذه الأفكار بينهم.

٣- إنشاء مؤسسات إلحادية، فالعمل الإلحادي ليس عملًا عشوائيًا، يعتمد على الجهود الذاتية الفردية، بل ثمة مؤسسات إلحادية معنية بالدعوة إلى الإلحاد ورعاية الملحدين، مثل الرابطة الدولية لغير المتدينين والملحدين.

حيث استطاع الملاحدة الجدد ابتداع وسائل مثل إعلانات الأتوبيسات وعقد المؤتمرات للملاحدة، فكان مؤتمر "ماذا بعد الإيمان": العلم – الدين – العقل – الحياة"، الذى عقد عام ٢٠٠٦م، في مؤسسة سالك Salk، في كاليفورنيا وقد توصل المؤتمر إلى أن:- الدين وهم خطير يؤدى إلى العنف والإرهاب وينبغي التخلص من الدين، وسيقوم العلم بهذه المهمة كما اننا لا نحتاج لإله لنكون على خُلُق، فالإلحاد يمكن أن يكون منطلقًا قويًا للأخلاق. كما يطلق الملاحدة الجدد على أنفسهم اسم The Brightest مما يشير إلى أن الآخرين (المتدنيين) هم الخافتون أو المظلمون(٧٢).

وقد أوضح بارسونز وأودي إلى أن عملية الانحسار الديني هي مرحلة انتقالية. وذهب كثير من العلماء أمثال هوجا وروزين , D. Hoge D. Roozen إلى تفسير الانحسار الديني نتيجة تداخل عديد من المتغيرات، وقد أشارا إلى أن التغيرات الثقافية والاجتماعية في المجتمع الكبير (القيم والمعتقدات والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية) من شأنها أن تؤثر على أنماط الانتماء الديني، وهذا راجع إلى ما أسماه بالمتغيرات المتعلقة بالمحتوى أو السياق القومي والمجتمعي Contextual Factors.

وتفضل الدراسة لتفسير الإلحاد، تحديد وظائف الدين الإيجابية والسلبية في التراث السوسيولوجي، وفي ضوء نظرة التراث السوسيولوجي للدين الإسلامي.

وتنظر نظريات الصراع للدين كوظيفة سلبية، فوظيفة الدين في هذا الاتجاه النظري كثيرًا ما يكون سببًا في الحروب. والتعصب الديني غالبًا ما يؤدي إلى الصراع والاضطهاد داخل المجتمع. وكما يرى ماركس أن الدين أداة تستخدمها الطبقات العليا لاستمرار استغلالها للطبقات الدنيا. وكما عمل الدين على إثارة الصراع الذي ترجع أصوله إلى التناقضات الاجتماعية والسياسية في مجتمع العصور الوسطى. والصراع الديني لا يوجد فقط بين الجماعات الدينية والمجتمع، بل يوجد أيضًا داخل الجماعة الدينية نفسها، فهناك الصراع بين الرجال والنساء، فدائمًا الرجال يحتلون الأدوار القيادية في الجماعات الدينية. بل والصراع كذلك بين المرأة والرجل، وأن الملحدين في الإسلام، يرون أن أوضاع المرأة تتميز بالازدواجية، فمن ناحية منحها القرآن وضعًا اجتماعيًا لم تكن تنعم به سابقًا، مكنها من سلسلة

من الحقوق البينة، فيما يتعلق بالزواج والميراث مثلًا، ومن ناحية أخرى نحا لاعتبار المرأة كائنًا دونيًا، باستبعادها من عديد من الوظائف الدينية المخصصة للرجال فحسب.

وقد حلل فيبر أيضًا المجتمعات الإسلامية في ضوء تحليله للسلطة الأبوية العسكرية والإقطاع الدينى التي اعتقد أنها النمط الأساسي للسلطة الإسلامية. وقد أوضح فيبر في مواضع عديدة أن الإقطاع الديني Prebendal والنزعة الأبوية العسكرية Patrimoniolism كانا من السمات المميزة لحكم العباسيين والمماليك والعثمانيين. وكان الحراك الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يتم في ضوء الانتماء إلى أصول عربية، بقدر ما كان يتم في ضوء المصالح المحدودة التي تفرضها السلطة الأبوية العسكرية. وبانهيار الزعامة العربية فقدت الأمة الإسلامية أهم عناصر تضامنها ووحدتها، حيث بدأ النظام الجديد في توظيف المؤسسات الدينية لخدمة مصالحه الخاصة وبمرور الوقت استطاع الخلفاء بسط نفوذهم وسيطرتهم على القواعد الإسلامية من خلال استقطابهم لرجال الدين(٧٣).

وترى الدراسة أن تحول الدين إلى أداة في يد السلطة السياسية، أدى إلى دمج بين السلطتين السياسية والدينية، مما أدى إلى انهيار في وظيفة الدين الروحية والاجتماعية وإضافة وظيفة سياسية للدين.

أما في المنطق الماركسي، فالدين ليس سوى غشاء أيديولوجي توظفه، من حين إلى آخر، الطبقات المهيمنة أو المستضعفة لتعرض ظروفها أو لتعبر عن موقعها الاجتماعي والاقتصادي، إنه عرض لحالة واقع السلطة أو اللاسلطة . بهذا المعنى السابق، لا يمكن للدين أن يتولى أية وظيفة مستقلة، لأنه إما أن يتولى مهام تبرير نظام اجتماعي قائم على التراتبية بإضفاء مشروعية على مختلف تحولات السلطة المادية والرمزية أو يعوض في غياب شيء آخر، اللغة السياسية للطبقات الاجتماعية الخاضعة، التي ترنو للانعتاق من أوضاع القهر التي تجد نفسها فيها أو ترى أنها ستقع فيها.

وقد حاول بيار بورديو، ربط وجهة نظر فيبر مع وجهة نظر ماركس بشأن موضوع الدين، تتلخص الفكرة الرئيسية للمقاربة في الإقرار بأن الدين هو مجموع ثروات رمزية تتعلق بدائرة المقدس. استنادًا إلى هذه

الثروات تمارس سلطة، ذات طابع إنتاجي وإعادة إنتاجي، من طرف مجموعة من الوكلاء على المقدس. تقرر تلك السلطة داخل الحقل تراتبيةمتأسسة على سلطة معرفية تتولى تحديد المعتقد الصائب، وبالتالي تكون النتيجة في تولد اختلافات دائمة داخل الحقل، بين المختصين وغير المختصين بالمقدس، أي الناس المدنيين. حيث يحمل التمايز الداخلي في الحقل الديني، صراعًا كامنًا، يتجلى مثلًاحين يحاول رهط من غير المختصين بالمقدس صياغة الرأسمال الرمزي، الذي ترسب مع الزمن في الحقل الديني، بشكل بديل، متجاوزين سلطة المحتكرين للمقدس.

فالصراع الاجتماعي الديني ليس صراعًا بين طبقات اجتماعية، بل هو صراع موضوعه تحديد الرموز، نظم المعاني، وهو ما يشرك بالضرورة فاعلين متصارعين يقفون على أطراف مواقف مختلفة في جغرافية السلطة والمعرفة الدينية. وتتأسس الإشارة التي عادة ما لوح بها بورديو عن آليات إعادة إنتاج الحقل الديني، بالخصوص داخل سياقات الاحتضان الاجتماعي، وهو ما يستدعي فكره عن الدين باعتباره شيئًا مسلطًا على الأفراد، ويؤثر في حوافز فعلهم ضمن عنف رمزي عالٍ(٧٤).

ويستعمل العقل الرموز لمراقبة الوسط الذي يجدد معه حساباته بشكل مستمر، لذلك فثمة فعل وحركة مستديمان عبر التمثلات الرمزية، فالمجتمع هو مجموع التمثلات التي يصوغها كل عقل لترتيب أفضل في تدفق المعلومات المباشرة، وبالتالي بإمكانه أن يمنح الأفراد شكلًا لتأسيس هويتهم الخاصة، وذاتًا مميزة في الفضاء الاجتماعي(٧٥).

ولابد من الاعتراف بأن التكامل الذي يؤدي إلى تحقيق حالة من التماسك الاجتماعي استنادًا إلى تداخل النظم الاجتماعية مع بعضها البعض، هذا التماسك يحققه الدين من خلال مستويين، المستوى الأول أن ثمة علاقة وظيفية متبادلة بين الدين وكل نظام من النظم الاجتماعية المختلفة، بينما يشير المستوى الثاني إلى علاقة ثلاثية أو رباعية يكون الدين فيها دائمًا هو المتغير الدائم الحاضر على ساحتها، كالعلاقة بين الدين والقرابة والسياسة والاقتصاد، بحيث تصبح رمزية للدين ومعانيه مرجعية الأداء داخل كل نظام على حدة(٧٦).

ويسهم الدين في تحقيق التكامل الاجتماعي، وهو المستوى الذي يسهم فيه الدين في تحقيق التكامل بالنسبة للمجتمع باعتباره«كلًا»، وذلك استنادًا

إلى الصياغة الدوركايمية التي ترى أن المجتمع هو مستوى أعلى من مجموع مكوناته.

أما الدين عند كونت فهو يمثل استراتيجية اجتماعية لخلق الوفاق، فكل مجتمع، كشأن أي تنظيم، يبحث نقطة اتفاق حول قيم مشتركة، وحول رؤى جامعة عن العالم، أي أن الدين يلبي حاجات معرفية وسلوكية عميقة لدى الإنسان، وبذلك الشكل ساهم الدين في مستويات تطور المجتمع، في تثبيت الوفاق، من وجهة النظر تلك، وفي ذروة التطور، فالحاجة لوحدة المعرفة التي يمثلها العلم ليست سوى ترجمة عليا وراقية لذلك الدفع الجوهري نحو معرفة موحدة للكائن معبرًا عنها بواسطة الدين، لذلك فإن التقدم العلمي يفضي حتمًا إلى نهاية الدين، فضلًا عن أنه في اللحظة التي يتوارى فيها «يتناسخ» العلم مجددًا، في مرحلة عليا في العقلية والنفسية البشريتين، وبالتالي يظهر إلى السطح «دين البشرية» ذات الأساس العلمي، والقادر على منح الناس قيمًا اجتماعية جديدة وثابتة، إنه «الكائن الأكبر» جوهر الإنسان، وبالتالي فالكاهن الأكبر للبشرية هو رجل العلم(٧٧).

فالمجتمع عند كونت هو من يملك العقلانية الخالصة والأولوية المطلقة أخلاقيًا فوق القوى الفوضوية للأفراد، وبإيجاز المجتمع هو منبع النظام لا الفرد(٧٨). أما التنظيم الخاضع للسلطة الدينية فهو تنظيم سلطوي إذا كان وبالدرجة التي يستخدم فيها الإجبار النفسي عن طريق منح أو منع أمور مقدسة (الإجبار الديني الكهنوتي) بهدف ضمان أنظمته(٧٩).

وبالتالي عبر دوركايم أن فكرة القهر والتسلط هي فكرة ملازمة للظاهرة الاجتماعية، وبالتالي فالدين هو من الظواهر الاجتماعية التي تتصف بقدر هائل من القهر الذي تمارسه على الأفراد، وذلك إلى الحد الذي يمكن معه وصف هؤلاء الأفراد بأنهم مقهورون اجتماعيًا، حيث يمكن الاستفادة من هذه الفكرة في إبراز مقدار التسلط الذي تمارسه هذه الظاهرة على الأفراد حتى ينصاعوا لما هو اجتماعي، حتى ولو كان هذا الانصياع لما هو اجتماعي على حساب التغير والتطور، وبالتالي حتى لو أدى ذلك إلى تخلي هؤلاء الأفراد عن الجرأة والإقدام في ابتكار الأنماط الجديدة من الحياة الاجتماعية والفكرية التي من شأنها تغيير واقعنا الاجتماعي نحو الأفضل، وبما يتناسب وطبيعة روح العصر الذي نعيشه.

وبناء على نظرية المعوضات أو الحاجات التي يوفرها الدين للإنسان، فالأشخاص الأصحاء المرفهين الذين ليس لديهم مشاكل في علاقاتهم الشخصية ربما لا يكونون بحاجة إلى معوضات محددة والتي تلعب دورًا هامًا في معظم التقاليد الدينية، وقد قسمت هذه النظرية المعوضات إلى معوض أولي والذي يحقق للناس ما يرغبون به لأنفسهم ومعوض ثانوي والذي يعوض عن المكافأة الذي يكون الفرد مرغم على الموافقة عليها لشخص آخر، وهو مبني على علاقة اجتماعية تتميز بالاكتفاء عندما لا يستطيع الفرد إعطاء الآخر ما يتوقعه أو ما يريده. والمعوض يهدأ من ذنب الشخص لفشله لعدم تنفيذ المطلوب منه دينيًا أو أخلاقيًا، أو أن المعوض يعزز من ثقة الشخص الملتزم دينيًا أو أخلاقيًا.

وتدعيمًا لفكرة ان الضمير الجمعى يفكك، أو يضعف بانتشار ظاهرة الإلحاد، نجد ان نقص الواجبات الاجتماعية دليلًا على عدم الإيمان بالله، والتحليل مبني على نظرية التعويض للدين (المعوض)، فالشخص المستقل والذي تنقصه الروابط الاجتماعية القوية هو الأكثرعرضة للإلحاد. وبالتالي فالإلحاد شائع بين هؤلاء الذين واجباتهم تجاه المجتمع ضعيفة، وقد قررت بعض الدراسات أن الملحدين لهم صفات اجتماعية معينة، مثل حداثة السن، غير متزوجين، ومتعلمين بشكل جيد، كما أن هناك نسب الرجال الملحدين أكبر من نسب النساء الملحدات[٨٠].

الإجراءات المنهجية للدراسة وتشمل:

أ. **منهج الدراسة:**

بالنظر إلى الطرح الذي حددت به الباحثة موضوع دراستها فضلا عن الأهداف التي سعت الباحثة لتحقيقها فإن تلك الدراسة تقع في نطاق الدراسات الوصفية التحليلية، ولما كانت وحدة الدراسة الأساسية قد تمثلت في أحد الأعمال المقروءة وهي مجلة الملحدون العرب، في حين تمثلت وحدات التحليل في عدد من المقالات التي تضمنتها أعداد تلك المجلة، فقد اعتمدت الباحثة بشكل رئيس على منهج تحليل المضمون، كأسلوب ومنهج في آن واحد لتحقيق هدف الدراسة الأساسي.

وتحت مظلة منهج تحليل المضمون استخدمت الباحثة بعض الأساليب المعروفة في تحليل الخطاب، خاصة أسلوب التأويل (الهرمينوطيقيا) وذلك من خلال إعادة قراءة النصوص التي تضمنتها

وحدات التحليل (المقالات) في ضوء مؤشرات التعريف الإجرائي الذي حددته الباحثة لمفهوم تفكيك الضمير الجمعي. وعلى ذلك فإن الباحثة في قراءتها التأويلية للنصوص التي تعبر عن الحركة الفوضوية، كانت مقيدة بما سبق وحددته من مؤشرات، وربما يتعارض ذلك والفلسفة التي يقوم عليها التأويل كمنهجية للقراءة والتحليل، ولكن فضلت الباحثة اللجوء إلى مثل هذا التقييد حتي تأتي القراءة مؤطرة بتلك المؤشرات، والتي من خلالها تحركت الباحثة نحو اختبار فرضياتها.

ب. عينة الدراسة:

تمثلت عينة الدراسة باحد الاصدارات لمجلة الملحدين العرب وهى مجلة شهرية، بدأت فى الظهور منذ ديسمبر ٢٠١٢ (بعد الثورة) على الموقع الالكترونى التالى: arabatheist broadcasting. com/program/magazine. وتمثل مجلة الملحدون العرب وحدة التحليل الأساسية التي اعتمدت عليها الباحثة في الجانب العملي من الدراسة، ومن ثم فيمكن النظر إلى تلك المجلة بوصفها وحدة المعاينة الرئيسة، والتي يحتوي بدورها على عدد من المقالات، تم تناولها بوصفها مفردات المعاينة، **وقد اختارت الباحثة الاصدار الأول من المجلة لعدة أسباب:**

١ – ان الاصدار الأول لمجلة الملحدين يعبر عن بداية مواجهتهم مع المجتمع، والتعبير عن أفكارهم تلك المخالفة للضمير الجمعى المصرى، ولرصد تطور الظاهرة وكيفية معالجتها نحتاج الى تتبع لتلك الأفكار وكشف مدى تطورها، وردود فعل الضمير الجمعى لها، فى محاولة مستقبلية من الباحثة لتتبع مدى تطور قدرتهم على مواجهة المجتمع وآلياتهم الجديدة فى ذلك، من خلال تحليل العديد من اصدارات المجلة فيما بعد.

٢ – انها أول مجلة تعبر عن آليات الملحدين الجدد، وذلك عبر صفحات النت، ومن هنا وجب الكشف عن آلياتهم الجديدة لتفكيك الضمير الجمعى فى اول اصدار لهم، وكما وضح بالاطار النظرى للدراسة عن آليات الملحدين الجدد. كما تتضح آلية الملحدون الجدد المؤسسية، من خلال انشاء مجلة افتراضية على صفحات التواصل الإجتماعى،

لهـا تراتبيـة هيراركيـة مؤسسـية بـدًء مـن رئاسـة التحريـر والكُتـاب وطريقة الإخراج للمجلة وتزمين تلك الاصدارات. . . الخ.

٣ – ان المجلـة بهـا عدد كبير من المقالات التـى تدعو للإلحـاد، ويعتبـر الاصدار الواحد بها مكتظ بالافكـار النقديـة للسلطة الدينيـة والسياسية وقد تكون الاجتماعية. وبالتالى رأت الباحثة ان اصدارًا واحدًا للمجلة قد يكون بالفعل معبرًا بالشكل الكافى عن أفكارهم.

وقد أمكن للباحثة حين القيام بتحليل مضمون "مجلة الملحدين العرب" الرجوع الى عناوين المقالات الرئيسية في هذه المجلـة وإستخلاص أفكارهـا الرئيسية لاثبات فروض الدراسة، وكانت عناوين المقالات كالآتى [1]:-

الأخلاق في الإسلام. . لراضي عقل

والروح. . لرولاشبيب

محاضرة العالم ستيفن عن وجود الله .....عادل أحمد

أوضح عشر دلائل على التطور فى جسد الإنسان .....جوليان جو

علمانيون لادينيون. . مبررات استمرار تقديس الدين (بدون كاتب)

التلاعب بالعقول من وإلى. . لجون سيلفر

الغراب الحكيم من حوار مع. . لفينوس صفورى

إشكالية دخول النار . . لسمير سامي

الوصايا العشر. . جورح كالرن

يوميات امرأة مسلمة. . لفينوس صفورى

كونفوشيوس . . لسمير سامي

كبير الآلهة. . فايروس التفكير الإسلامي....(بدون كاتب)

عزيزي إبليس لاتخاف كلنا معك...جون سيلفر

مع توضيح ان موضوعات مقالات المجلـة (عينـة الدراسـة الميدانيـة) المتخذة كتدعيم لفروض الدراسة، ليست هى عناوين المقالات الرئيسية، بل فضلت الباحثة ان تستنبط الأفكار الرئيسية للمقالات وتأخذ عنوانًـا بمـا يتفق وفروض الدراسة الحالية، وذلك على النحو التالي :-

---

[1] استبعدت الباحثة مقالة الروح من المجلـة لان الفوضـويون يصـفون الروح من خـلال بعض المذاهب والديانات دون تعليق منهم عليها. . . . كما انها اشارة بأن هنـاك اقوام وحضـارات فسرت الروح بعيدًا عن إله واحد أحد (ص ص٩- ١٥)

- **الفرض الأساسى للدراسة**

هناك علاقة بين الفكر الفوضوي (الأناركي) الإلحادى والمتمثل فى رفضهم للسلطة السياسية والدينية وتفكيك الضمير الجمعي.

- **مقالات المجلة التى تتفق مع الفرض:-**
- **هناك علاقة بين الفكر الفوضوي الإلحادى وتفكيك الضمير الجمعى**

وتعتبر دراسة العلاقة بين الفكر الفوضوى الإلحادى وتفكيك الضمير الجمعى فى المجلة، من خلال مقالة "راضى عقل" تحت عنوان "الاخلاق فى الإسلام"، وقد ذكر فيها "أريد فى هذا المقال مناقشة واحدة من هذه المسلمات التى كررتها وتكررها الدوغما الدينية عمومًا، والاسلامية خصوصًا بشكل مكثف بحيث اقنعت بها حتى بعض العلمانيين والمتنورين، هذه المسلمة هى أن الاسلام مرادف الأخلاق، فمن لادين له هو بالضرورة لااخلاق له، تحشر هذه البديهية فى عقول الناس منذ طفولتهم وتعاد عليهم وتكرر بشكل يجعلها فطرية يستدل بها عوضًا عن البحث عن إثباتها .....أريد مناقشة أن الدين عمومًا والإسلام خصوصًا نقيض للأخلاق ويساهم بشكل فعال فى تشويه نفسية المؤمنين به وقتل حسهم الاخلاقى .....وبتعريف الاخلاق والشخص الأخلاقى حسب رأيى : الأخلاق هى تصرفات غيرية لاتنفع فاعلها وغالبًا ماتضره، يفعلها الانسان لذاتها من دون توقع منفعة مباشرة، تعود عليه منها وليس خوفًا من عواقب إذا امتنع عن القيام بها" ويستطرد الكاتب بقوله " فبالنسبة للقسم الأول من التعريف، عندما يلتزم الانسان بالاخلاص لزوجه أو زوجته، فهو يقوم بحرمان نفسه من متع كبيرة، وعندما يكون التاجر صادقًا فى معاملاته فهو يحرم نفسه من أرباح أكثر يمكن أن تعود عليه، وعندما يقوم المحسن بالتبرع بماله للفقراء، فهو يخسر هذا المال الذى كان يمكن انفاقه على نفسه، وعندما يمنع الانسان نفسه من السرقة فهو يحرم نفسه من المال المسروق وهكذا...."

وبالتالى ان تحليل ماكتبه راضى عقل، يؤدى الى فساد الأخلاق فى المجتمع، هذه الأخلاق المرتبطة بالدين الاسلامى، وان دعوتهم إلى رفض أخلاقيات الدين الاسلامى وإفسادها يؤدى الى تفكيك الضمير الجمعى وانهيار المجتمع. وبذلك التدين يؤدى الى فساد الاخلاق والإلحاد يؤدى الى تماسك المجتمع كما رآها راضى عقل أحد الملحدين. ومن هنا تثبت العلاقة بين الفكر الفوضوى الإلحادى وتفكيك الضمير الجمعى.

- **هناك علاقة بين الفكر الفوضوي الإلحادى المتمثل فى رفض سلطة الدين والدولة وتفكيك الضمير الجمعى.**

وبالتعقيب على هذا الفرض، تجد الدراسة ان رفض الدين عند الفوضويين والملحدين يتمثل فى رفض وجود الله والكتب المقدسة والقوانين السماوية. ولنأخذ مثالًا فى رفضهم لسلطة الاله، كما يتضح من الجدول رقم (٣)، وكما يكتب عادل أحمد فيما يتعلق بمحاضرة العالم ستيفن عن وجود الله انه " في العصور القديمة كانت كل الظواهر تفسر علي أساس كائنات خارقة كالبرق والعواصف، وكان لهم إله لكل ظاهرة، فكانت ظاهرة الشمس تفسر علي أساس أن هناك إله أسمه " أسكول " في صورة ذئب، يقوم بإبتلاع الشمس في حالة الكسوف، وكانوا يقومون بإقامة الطقوس حتى تعود الشمس. . وما لم يكونوا يعلمونه هو أن الشمس كانت ستعود في جميع الأحوال، حتى وأن لم يقيموا هذه الطقوس، فقد اتضح أن هذا الكون خارق للطبيعة، ولكن يحتاج إلي الشجاعة لكي تواجه حقيقته ".

ويستطرد نفس الكاتب بمثال آخر يطرح فيه الفارق بين الفكر الديني القائم علي الإيمان بالغيبيات وليس الإيمان بالله الحق، وبين الفكر العلمي القائم علي الإيمان بالواقع والحقائق المادية الملموسة، حيث يقول "في حوالي عام٣٠٠٠ قبل الميلاد كان هناك فليسوف يدعى ارستقراط انبهر بكسوف الشمس وخسوف القمر أيضا. . وبعد دراسات قام بها تبين له أن الكسوف ليس الا ظل القمر، واقعا علي الأرض، كما قاده هذا الاكتشاف إلي أن الأرض ليست مركز الكون، حيث أنه في بعض الأحيان يقع ظل الأرض علي القمر، وفي أحيان أخري يقع ظل القمر علي الأرض، كما خلص إلي أن النجوم ليست ملقاة علي ارض الجنة، كما ظن معاصروه، ولكنها شموس أخري مثل شمسنًا لكنها بعيدة جدًا. وبذلك عرف أن الكون عبارة عن ماكينة يتحكم فيها قوانين معينة، وفي بعض العصور كانت عصية علي الاكتشاف بالعقل البشري"

وبعد عرض الأمثلة السابقة، يطرح الكاتب الملحد"عادل أحمد" ما يعكسه الفكر الإلحادي، والذي يرجع كل شئ لقوانين الطبيعة وليس لقوانين الرب، حيث يقول " أن اكتشاف هذه القوانين هو أكبر إنجاز للكائن البشري، وأن قوانين الطبيعة هذه يمكنها أن تخبرنا أننا لسنا في حاجة إلي إله أبدا لكي يفسر لنا هذا الكون. . فهو محكوم داخليًا من قبل قوانين الطبيعة ".

ويستطرد المفكر الملحد أيضًا بقوله " ما هو دور الله اذًا؟ وهذا هو التناقض الكبير بين العلم والإيمان، وهذا التناقض ليس حديث، ولكنه أقدم من عصرنا بكثير، ففي العام ١٢٧٧م بوب (جون السابع عشرة) شعرًايهدد بقوانين الطبيعة، وكان يسميها بالإلحادية، ولكن بعد وقت قريب وجدت منظمة دينية حلا لهذه المشكلة بعدة قرون لاحقة، فقد تم تفسير هذه القوانين بأنها من عمل الله، وبإمكان الله أن يكسر هذه القوانين إن أراد. وتم تعزيز هذه الفكرة، مع أن كوكبنا الأزرق مازال ساكنًا في مركز الكون على عكس فكرة ارستقراط التي تم تناسيها من زمن ".

ويطرح المفكر الملحد "عادل أحمد" في مقاله العديد من الأمثلة التي يصل في نهاية كل منها إلي عدم وجود إله للكون، حيث يقول في حديثه عن الطاقة السلبية " إن كان الكون " يؤول إلي لا شي فحينها لن نحتاج إلي إله ليخلقه. . لكن يبقى السؤال الأخير وهو من أطلق العملية في المقام الأول؟، ففي تجربتنا الحياتية اليومية نحن نعتاد علي فكرة أنه لا يمكن أن نجد شيء من لا شيء... لكن اذا راقبنا حركة الأجسام علي المستوي دون الذري، نجد أن الجزئيات تسلك سلوكًا تعتمد علي علم نسميه ميكانيكا الكم، والجسيمات علي هذا المستوي تجريبيًا تظهر من العدم لفترة وجيزة جدًا ثم تختفي إلي لا شيء لتظهر في مكان آخر، ونحن نعلم أن الكون في لحظة الانفجار كان أصغر حتى من الجزيئات الذرية، فيمكن له ببساطة أن ينشأ من عدم دون أن يخالف أي قانون من قوانين الطبيعة، فقوانين ميكانيكا الكم تخبرنا انه يمكن أن ننتج الإلكترون من لا شيء حرفيًا. . وفي ظروف مثل هذه تخبرنا النظرية النسبية الخاصة لأينشتاين أن الزمن يتوقف، أي أن الفرق الزمني بين أي حدثين يكون صفر. . وأخيرًا وجدنا شيئًا لا يحتاج إلي مسبب، لأنه لم يكن هناك زمن ليحدث منه السبب "

ويمكن القول أن المقولات السابقة تعكس الفكر الإلحادي، والذي هو علي النقيض من الفكر الديني، حيث يزيل المفكر الملحد مقاله بالمقولة التالية " وبالنسبة لي، هذا ينفي تماما احتمالية وجود صانع للكون، لأنه لم يكن هناك وقت للخالق لكي يخلق. . . ".

وقد اعتمد التحليل على استخراج أهم المقولات التي استخدمها الفوضويون والتي تعكس فكرهم، والفوضويين يرفضون من على غير فكرهم، مع انهم يؤمنون بحرية الفكر، الا انهم يسخرون من الدينين أو غير

الملحدين، وبالتالى هم يمثلون الشر عندهم ومن الكلمات الدالة عليها في فكرهم: مسلمون – عرب، الله عز وجل لفظ الجلالة، منزه عن كل وأي شيء، وأيضًا وسطاء السماء والأنبياء والرسل. . . ألخ، أما الفوضويون (ويمثلون الخير) ومن الكلمات الدالة عليها في فكرهم : ملحدون- ابليس. . . . . إلخ.

جدول (١) يبين عدد التكرارات والنسب المئوية للمؤثرين الأشخاص[٢]

م	المؤثرون	تكرارات ونسب مئوية	
		تكرار	نسب مئوية
١	المؤثرون اللافوضويين (الأشرار) المرتبطين بسلطة الدين والدولة.	١٢٢	%٥٧,٨
٢	المؤثرون الفوضوييين (الخيرون) والذين يرفضون سلطة الدين والدولة.	٨٩	%٤٢,٢
الاجمالي		٢١١	%١٠٠

يبين الجدول رقم (١) الجهات التي تأثر بها الفوضويون (الملحدون) من قوي شريرة أو خيرة، حيث بلغت الأهمية النسبية الأعلي للقوي اللافوضوية (الشريرة)، والمرتبطة بسلطة الدولة والدين، كما يراها الملحدون غالبية مطلقة (٥٧,٨%)، بينما جاءت في المرتبة الثانية للأهمية النسبية للقوى الفوضوية (الخيرة) كما يراها الملحدون أيضًا (٤٢,٢%) وهي أقلية نسبية. ويفسر لنا الجداول التالية بالدراسة ذلك على التفصيل كما سيأتي لاحقا.

والملحدون بذلك يركزون حديثهم وافكارهم حول اللافوضويين غير الملحدين (الأشرار) نقدًا وتجريحًا مع استخدام اسلوب السخرية والاستهزاء كآلية من آليات الملحدين الجدد، فهم يمثلون بالنسبة لهم العائق الاكبر الذي يقف حجر عثرة في عدم تحقيق الاستقرار والثبات لأوضاع المجتمع وهو الأمر الذي يسعي الفوضويون الملحدين أنفسهم لتحقيقه.

(٢) المؤثرين هى الكلمات الدالة على الشخصيات والأحداث والمفردات الخيرة والشريرة كما يراها الفوضويين والملحدين أنفسهم .

جدول (٢) يبين عدد التكرارات والنسب المئوية للمفردات والاحداث والأشخاص الفوضويين واللافوضويين (كما يراها الملحدون - الفوضويون)

م	المتغير	تكرارات ونسب مئوية	
		تكرار	نسب مئوية
١	اللافوضوية بمعنى (الشر) لديهم، مفردات وأحداث	٤٨٥	%٥٧,٣
٢	الفوضوية بمعنى (الخير) لديهم، مفردات وأحداث	١٥٠	%١٧,٨
٣	المؤثرون الأشخاص اللافوضويين (الشر)	١٢٢	%١٤,٤
٤	المؤثرون الأشخاص الفوضويين (الخير) والذين يرفضون التقيد فى الملبس والتقيد بالكتب المقدسة والتقيد بوجود الإله والنبى.	٨٩	%١٠,٥
الاجمالي		٨٤٦	%١٠٠

أشار الجدول رقم (٢) إلي أن متغير اللافوضويون من مفردات وأحداث يمثل الأهمية النسبية (٥٧,٣%) وبتكرارت (٤٨٥)، وهو المتغير الأعلى عند الحديث عن تفكيك الضمير الجمعي في المجتمع لدى الفوضويين، وأن متغير الفوضويون مفردات وأحداث جاء في المرتبة الثانية بأهمية نسبية (١٧,٨%) وبتكرارت (١٥٠)، بينما متغير المؤثرون على أفكارهم وأرائهم سواء أكان (أشخاص مؤثرون لافوضويون أو مؤثرون فوضويون) مثل أهمية نسبية (١٤,٤%) وبتكرارت (١٢٢)، أي أن محور الشر (المؤيدين للسلطة السياسية والدينية) يمثل غالبية مطلقة، بينما جاءت باقي المتغيرات بأقلية نسبية، ومحور الشر هذا هو هدف الفوضوية فى القضاء عليه لكى تشفى المجتمعات من أمراضها الاجتماعية التى تعانى منها.

كما استخدموا الأدوات الداعمة لأفكارهم علي فوضي المجتمعات وتفكيك الضمير الجمعي بأهمية نسبية (١٠,٥%) وبتكرارت (٨٩) مرة، ومن الأمثلة التي تضمنها محتوى المقالات فى هذا الجدول:

- إن الفوضويون يرفضون التقيد بالملبس، حيث تسرد الكاتبة قصة خيالية حسبما تصورها عقلها وتحكيها. ". . بأن مسلمة دخلت الجنة فلم تجد والديها وصديقتها التي عاشت في الدنيا مؤمنة متعبة وتحافظ على الحجاب فسألت الملائكة عنها لماذا ليست في الجنة فقال لأنها كانت

نمامـة. . . وأن أفعالهـا الحسـنة وحـدها حتـى لـو ارتـدت الحجـاب فـأن مصيرها النار. . . إذا لماذا الزى والملبس الموحد الذي يلقي بصاحبه في النار".

- ان الفوضويون يرفضون القرآن والإنجيل". . . لان المجتمعات البشرية بفطرتها غبية. . . ولما كان بعض الشخصيات يضللون المجتمع بما يعدونه من وحى القي عليهم وبما لديهم من قصص وخيالات وأساطير وهمية غيبية لا يستطيعون أن يبرهنون علي مصداقيتها ودلالتها".
- كما يعتبر رفض الإله والنبى عند الملحدين واضحة بشكل جلى وواضح فى كل كتاباتهم، وهذا ماسيتضح فى التحليل القادم بجدول رقم (٣).

جدول (٣) يبين عدد التكرارات والنسب المئوية للمؤثرين الأشخاص اللافوضويين فى سياق رفض الملحدين لسلطة هؤلاء.

م	المؤثرون الاشرار	تكرارات ونسب مئوية	
		تكرار	نسب مئوية
١	الله عز وجل لفظ الجلالة : منزه عن كل وأي شئ، وأيضًا وسطاء السماء والانبياء والرسل	٧٢	%٥٩
٢	سيدنا محمد صلي الله علية وسلم	١٩	%١٥,٦
٣	كونفيشيوس	١٥	%١٢,٣
٤	أدم	٩	%٧,٤
٥	حواء	٢	%١,٦
٦	أبو هريرة	٢	%١,٦
٧	سيدنا موسي علية السلام	١	%٠,٨
٨	أبو سلمه	١	%٨ ،٠
٩	محمد بن عمرو	١	%٠,٨
	الاجمالي	١٢٢	%١٠٠

أشـارت بيانـات الجـدول رقـم (٣) إلـى المـؤثرين اللافوضـويين (الأشرار) فـي أفكـار وأراء الملحـدين، حيث مثلت الذات الإلهية والملائكة والانبياء والرسل السماوية أهمية نسبية بغالبية مطلقة (٥٩%)، بينما أتت الأهمية النسبية لباقي المؤثرين على التوالي: سيدنا محمد صلى الله علية وسلم (١٥,٦%)،كونفيشيوس (١٢,٣%)، وتساوت الأهمية النسبية لكل من سيدنا أدم وحواء وأبو هريرة وسيدنا موسي علية السلام، أبو سلمة، محمد بن عمرو.

وتكتب رئيسة تحرير المجلة " فينوس صفوري " فى هذا الصدد، "في الحقيقة يمثل الدين في عصرنا الحالي وفي أغلب شئون حياتنا إعلاء للفكرالعنصري وإشعال للفتنة والحروب بين الشعوب. . . ولهذا نجحت المجتمعات العلمانية وتطورت في شتي سبل الحياة، وذلك بعد إبعاد الدين عن الحياة العامة، وعن مصادر التشريع والحكم في أغلب الدول حتى أصبحت علي ما هي عليه الآن. . . ولذلك نعلن نحن مجموعة من اللادينين وبملء إرادتنا أننا حررنا عقولنا من العبودية للسماء وسلطانها ومندوبيها، وقمنا بالتعاون في ما بيننا وبجهود فريدة بإنشاء أول عدد من مجلتنا الخاصة (الملحدين العرب) والتي تدعو للعقلانية والحرية بمعناها الليبرالي وبمبادئ الديمقراطية والدعوة إلي مجتمع تسود فيه الحريات المدنية والفكرية وتحقق فيه ديمقراطية الفكرة في أسمي معانيها".

ويعكس ماسبق أن الفوضوية وفرعها الإلحادى تدعو إلى الحرية من الفكرالدينى وسيطرته، لعدم وجود اله ولأنه يؤدى إلى التخلف وزيادة الفكر العنصرى، وبذلك تدعو فينوس صفورى إلى تحرير العقول من عبودية الدين والسماء وسلطانها ومندوبيها، وتقصد الكاتبة بمندوبيها رجال الدين وسلطانهم أو الوسيط البشرى بين السماء وباقى البشر. ويبقى الإبتعادعن الفكر الديني دائمًا في المجتمعات العلمانية اللادينية، وذلك هو مصدر الخير لهم ومصدر الشر للمجتمعات الدينية.

ويقول سمير سامى Sameer Samy في مقاله الغراب الحكيم "التدين ليس في الانحسار. . ، ولا يمكننا توصيفه بهذا الشكل، حيث نستطيع القول إن التباين الديني في الشرق الأوسط ازداد كثيرًا، أي أن الملحدين والمشككين ازدادو عداءً للدين، والمؤمنين ازدادوا تدينًا وتعصبًا. . وذلك لايعنى أن عدد الملحدين ليس في ازدياد بل هو كذلك، ولكن السواد الأعظم الذي فى الوسط بين أقصى التعصب الديني وأقصى العداء للدين يتناقص يوما بعد يوم.... خلال السنوات الأخيرة حدث الكثير من التغيرات والتي كان للانترنت الباع الأطول في تحقيقه... لقد تغير الناس كثيرًا بسبب حرية التعبير وأصبح من غير الممكن دفن الرؤوس في الرمال... لقد كان النقاش الديني شيئا من المحرمات لا يجرؤ عليه إلا ندرة من المثقفين الذين يجدون صعوبة في التواصل مع الناس... مثل عبد الله القصيمى وصادق جلال العظم و فراس السواح وغيرهم، وكانت أفكارهم تصل مشفرة من

خلال كتبهم صعبة التأمين من خلال المكتبات ودور النشر النادرة التي تستطيع طباعة هذه الكتب ".

وترى الدراسة ان الملحدين يرون ان التدين يدعوا إلى التقيد فى حياة الفرد وحصره فى واجبات وفروض مرتبطة بالثواب والعقاب، ويؤكد الكاتب ضمنيًا انه كلما زاد التشدد الدينى (والذي اشارإليه بلفظة التدين)، كلما زاد الإلحاد وأنتشر مبدأ الفوضوية نتيجة هذا التشدد الدينى، كما يوضح الكاتب طرق وآليات التشديد السياسى والديني على من يتجرأ على النقاش فى الدين، ويعكس ماكتبه سمير سامى رفض سيطرة السلطة الدينية والسياسية.

كما يتضح من التحليل السابق ان هناك اختلاف بين الملحدين والفوضويين، فى التركيز والتشديد فى رفض سلطة الدولة، فنجدها اكثر ظهورًا عند الفوضويين، كما نجد ان رفض سلطة الدين هى أكثر ظهورًا عند الملحدين، وأكثر قوة فى اثبات فروض الدراسة، وبما ان المجلة خاصة بالملحدين، فلذلك وردت مفردات الدولة وسلطتها بشكل ضعيف فى تحليل مضمون المجلة.

- **<u>هناك علاقة عكسية بين انتشار الفكر الفوضوى الإلحادي ورفض المقدس من خلال مقارنة بين الفكر الإسلامى والكونفوشيوسى.</u>**

ونعنى بذلك انه كلما انتشر الفكر الإلحادى وزاد، قل اعتناق الفكر الإسلامى والكونفوشيوسى، أو أن هناك علاقة بين انتشار الفكر الإلحادى وتزايد العلمانية (كما هو موضح بالاطار النظرى) فى محاولة من الكاتب ان يوحى بالمساواة بين دين سماوى شامل كالإسلام ودين وضعى اهتم بالتنظيم الاجتماعى كالكونفوشيوسية، ومن المقولات التي تدعم صحة تلك العلاقة مايلي:-

يقول المفكر الإلحادي سمير سامي Sameer Samy " في البداية أود أن أشير أن المعلومات المكتوبة عن كونفوشيوس إنما هي جمعت من خلال شبكة الانترنت، والمقارنة بالنبي محمد إنما هي ما وصلنا بعد تواتر الفقهاء والآباء والقصص. . أما عن كونفوشيوس فهو أول فيلسوف صيني يفلح في إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والثقافي. . أما محمد فهو أول عربي يفلح في إقامة دين جديد خارجًا عن بني إسرائيل، وقد نادي فيه لفكرة التوحيد، وهي أساس الدين ولكنه اعتمد علي السلوك

الاجتماعي الأخلاقي. . ومازال "هذا الدين يتحكم في سلوك الملايين منذ أكثر من الألف وأربعمائة عام".

وكثيرا ما وصف كونفوشيوس بأنه أحد مؤسسي الديانات، وهذا تعبير غير دقيق إن لم يكن خاطئًا، فمذهبه ليس دينيا، فهو لا يتحدث عن الإله أو السموات، وإنما مذهبه هو طريقة في الحياة الخاصة والسلوك الاجتماعي والسلوك السياسي . . . أما محمد فهو مؤسس الدين الإسلامي، وقد نادي بالإله والسموات، وكذلك كان دينه تشريعا لطريقة حياة أتباعه، ويتشابه تشريع الدين بدرجة كبيرة جدا بما نادي به كونفوشيوس باستثناء الإله، فقد جاء في الإسلام : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

ويستطرد الكاتب الملحد بعد مقارنته بين النبي و كونفوشيوس بما يشكل نقدا للفكر الإسلامي، حيث يقول "كذلك سجل محمد أفكاره وكلامه بكتاب أسماه القرآن ومضامينه الرئيسة هي بعض القصص والأساطير القديمة التي استهدفت تعميق فكرة وجود الإله، وكذلك بعض التشريعات حول حياة أتباع الدين. ومن الممكن لأي شخص استخدام أفكار هذا الكتاب إذا أراد تولي منصب ديني والحصول علي توقير الناس له".

ويقول المفكر الملحد أيضا " لو أن محمدا قد اكتفي بالدعوة إلي مكارم الأخلاق، واهتم بوضع التشريعات الخاصة بحياة الإنسان العربي وفقًا لعاداته وتقاليده في ذلك العصر ضمن نظرته الشمولية للأمور، وابتعد عن العنف واستخدام السلاح ليضم باقي العرب إلي دينه الجديد، وكذلك لو ابتعد عن أخذ خمس الغنائم من المعارك التي كان يخوضها، وابتعد عن شهواته للنساء، لكان أعظم رجل في التاريخ، ولكان له اتباع أكثر بملايين المرات ممن هم الآن ".

ويستطرد الكاتب الملحد فيما يتعلق بما يجب أن يكون عليه الإسلام في ضرورة وصف سمات النبي بالمقارنة بالكونفوشيوسية "قل عدد التلاميذ حوله (ويعني كونفوشيوس) في البداية، ثم التف الناس حوله لحكمته وعلمه، وقد تم رسم العديد من الصور التوضيحية لتقريب صورة كونفوشيوس للناس الذين يقرأون عنه. . (وبينما) وجدت العديد من الصفات التي تصف محمدًا بشكل متناهي الدقة، ومنها حسن المظهر والقوة الجسدية، - ولكن لا يوجد أي رسم بسبب منعه من قبل المسلمين - وإحاطته بقدسية كبيرة جدًا، وعليه فإنه يصعب تصور شكل النبي محمد لمن يقرأون عنه. .

"وفي مقاله " كبير الإلهة - فايروس التفكير الإسلامي" والمنشور في كتابه "يكذبون كي يروا (ويعنى المسلمين)الإله جميلًا، يقول المفكر العربي الملحد"عبد الله القصيمى" بعض المقولات(والتي سوف نعرضها باختصار)ما يعكس النظرةالإلحادية للفكر الإسلامي، وذلك على النحو التالي "إن المسلمين يقفون أمام خيارين لا ثالث لهما: أما ان يستفيدوا من التراث العلمي للبشرية، أو أن يبقوا متخلفين جهلة، ولكي يتخلصوا من الركود الذي هم فيه، ما عليهم إلا أن يعرفوا انه لا يوجد معرفة ضارة ولا جهل نافع، وان كل الشرور مصدرها الجهل وكل الخير مصدره المعرفة"، "كل عام يمر علينا نزيد تخلفًا فيه سنة للوراء"، "ولقد أصبح العقل العربي متسخ بأفكارالجاهلية والتلوث الفكري الانحطاطي، سلمت العقول مع شمس الغروب في أرض الرمال، كما أذهبت الأديان بالعقول اليانعة وراء الغيوم"، "ولربما تاهت في السماء السابعة مع الرب المعلق الذي ليس يصدق، وأصبح العلم في نظر المسلمين انه الغزو الفكري على الدين، وانه ينشر الفسق ويحرض على مخالفة الدين والتعارض معه"، "ياجهلهم ليس كل ما تعلمناه كفرونا به. أهدروا الزمان وراء معتقدات وخرافات وصناع مجد العرب وراء الرب الوهمي، الآ يعرفون بان العلم مستقبل الإنسان والجهل عدوه". "ومع ذلك ومع كل الأسف مازلوا يحاربون المفكرين والفلاسفه الذين هم نهضة الشعوب، وبدلا من أن يتضامنوا ويفكروا مليًا، يزيدون إصرارًا في جهلهم وتخلفهم على أنهم صواب والصواب منهم براء". (انظر الجدول رقم ٤).

جدول(٤) يبين عدد التكرارات والنسب المئوية
لأحداث ومفردات وشخصيات يؤيدها الفوضويون أهتمت بالعلم وأتهموا بالالحاد

م	الكلمة ومرادفاتها	تكرارات ونسب مئوية	
		تكرار	نسب مئوية
١	علم–قوانين–ديمقراطية-عقلانية	٦٧	%٨٠,٧
٢	انفجار عظيم - صدفة	١١	%١٣,٣
٣	جاليليو	٢	%٢,٤
٤	أينشستاين	٢	%٢,٤
٥	ارستقراط	١	%١,٢
الاجمالي		٨٣	%١٠٠

أشارت بيانات الجدول رقم (٤) بأن ادوات تفكيك الضمير الجمعي كما يراها الملحدون تعكسها شخصيات لم يصفهم الملحدون خيرًا أو شرًا، وهذه الادوات أستخدمت لتعزيز الفوضوية لديهم. ولكنها أتت فى سياق الحديث عن اهميتهم العلمية فى المجتمعات الغربية المتقدمة فى مقابل المجتمعات الدينية الغيبية التى عانت من التخلف طوال قرون عديدة، ولقد جاءت الاحداث والشخصيات مرتبة وفقًا لاهميتها النسبية للملحدين كما يلي:-

علم–قوانين–ديمقراطية-عقلانية بنسبة غالبية مطلقة (٨٠,٧%)، انفجار عظيم - صدفة أقلية نسبية (١٣,٣%)، جاليليو بأقلية نسبية (٢,٤%)، اينشستاين بأقلية نسبية (٢,٤%)، ارستقراط بأقلية نسبية (١,٢%). ويمكن القول أن المقولات السابقة وتحليلها الكمى والكيفى تعكس أهمية العلم وانخفاض قيمة الدين، بما يحمله الدين من غيبيات يرفضها المنطق والعلم فى نفس الوقت. (انظر الاطار النظرى بالدراسة)

وحول موقع الفكر الإسلامي في الفكر الإلحادي يقول نفس المفكر الملحد، "يظن الكثيرون من المسلمين أن الملحدين يعانون من نقص في عقولهم، ولكن الخطأ والفرق كبير، أن المسلمين هم من يعانون النقص في عقولهم، حيث أنهم يأخذون كل شيء يقال إلى التصديق دون التبحث في أمره على خلاف الملحدين، وان الفكر يعنى التفكير والفلسفة تعنى الحكمة.

ومن هنا نجد الفرق بين المسلمين والملحدين. . كذلك تعود المسلم ان يصدق كل شيء خصوصًا ما يتعلق بدينه وربه دون التبحث فيه أو إعادة

النظر، ولكن التبحث من دون دراية وعلم لن يخرج بنتيجة جيدة. . فهذا قرآن سماوي فهل سيكذبه!وبما إن الكثيرين من المسلمين لا يبحثون عن الحقيقة، فإن الخدعة تنطلي عليهم. . فالجهل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:-

أولا: جهل بسيط: وهوفهم مسألة ما بدون أحاطة كاملة.

ثانيا :جهل كامل أو كبير أو عميق : وهو خلاف العلم بالمسألة، أي أن صاحبها لا يعلم من المسألة شيئًا.

ثالثا :جهل مركب: وهو أسوء أنواع الجهل، وهو فهم الأمر خلاف ما هو عليه.

فالمسلمين في رأى المفكر الملحد، ينتمون بجهلهم إلى الجهل المركب، لأنهم لا يفتقرون للمعرفة، بل هم يجهلون الحقيقة، فهم يفهمون الأمر على خلافه، المشكلة الوحيدة أنهم بجهلهم يحاربون الملحدين الذين هم أكثر علم ووعى منهم. . يصم المسلمون آذانهم عن أية حقيقة وحجة مهما كانت عادلة وصحيحة. . "

ويختتم المفكرالملحد مقاله بقوله "أنصحكم يا اخواننا المسلمين بان تتعمقوا بالعلم والتبحث ولا تعتمدوا على من يزيف لكم حقيقة الأمور. . لا توجد حقيقة يمكن تكذيبها. . كما لايوجد كذبه يمكن تصديقها، وهذا عائد على مدى التبحث"

كما يستكمل المفكر الملحد نصيحته للمسلمين بقوله "فيا أعزائنا المسلمين إن عقولكم ليست ألعوبة لتسلموها لوهم وأساطير فقط. ابحثوا وتأملوافي العلم وسترون حقيقة الأمور، وكما أقول دائما (والضمير هنا عائد على الفكر الملحد) " العلم دواء لمرض الجهل. . ، فالعلم لا يكذب أبدًا لأنه حقيقة مثبتة".

وترى الدراسة ان المقارنة بين النبى محمد وكونفوشيوس تأتى نتيجة رفض الملحدين سلطة الإله والنبى والكتاب الذى أنزل عليه (كل شئ مقدس)، وان الإسلام لديه إلة ونبى أما كونفوشيوس فهو ليس نبيًا أو مرسل من الإله، كما انه ليس هناك آلهًه عند كونفوشيوس بل آتى بقوانين اجتماعية فقط (ليست مقدسة)، فهم يرفضون سلطة المقدس دائمًا إله – نبى – كتب سماوية وتشريعات، وقد ظهر ذلك جليًا فى تحريم رسم صورة للنبى (ص).

<u>الفرض الفرعى رقم (١)</u>

ان الملحدين يرفضون التقيد فى التفكير (يدعون إلى حرية التفكير).

مقالات المجلة التى تتفق مع الفرض:-

- **<u>يؤثر التلاعب بالعقول في تفكيك الضمير الجمعي.</u>**

وبالتعقيب علي هذا الفرض، ترى الباحثة أن هناك مقولة رئيسية داعمة لصحة هذا الفرض، منسوبة إلي فينوس صفورى رئيس تحرير المجلة، حيث تقول "لا شك بأن من يمنع الحريات ويحاول تقييد مصادر الأفكار ويقمع الإنسان عن ممارسة حقه الطبيعي في التفكير والاختيار هو - بلا أدنى شك - يجلب الجهل والتخلف إلى بلاده ووسطه الذي يعيش فيه، وسيكون قمعه هذا تعبيرًا عن عجزه في مواجهة الفكرة بفكرة أخرى أقوى منها، وليس بمصادرة حق الآخرفي التعبير عن رأيه أو قتله أو نبذه اجتماعيًا، وهذا يعتبر أشد وأقسى وأقوى من القتل جسديًا. . "

يرفض الملحدين التقيد فى التفكير، ورفض التلاعب بالعقول من خلال أوامر السمع والطاعة، وتستخدم الباحثة المقولات التالية للكشف عن حقيقة هذا الفرض، حيث يقول جون سيلفر John Silver في مقاله " التلاعب بالعقول. . من والى " إن فكرة التلاعب بالعقول هي فكرة نسبية ولكنها مطبقة في أغلب المجتمعات، وعبر أغلب الاجندات سواء أكانت سياسة أم اجتماعية أم ثقافية، فهذا المفهوم يحمل في طياته الكثير، وكما انى سأنتقد الكثير من التوجهات السياسية والفكرية، فانى لن أقوم بالتركيز إلا على الجانب الغيبي من هذا التلاعب، لأنه وبجدارة أكثر التلاعبات تأثيرًا، وأكثرها ضررًا في عمق الاعتقاد، ولكي توجه لهدف ما، من خلال التعبئة بكافة أشكالها ليصل لغايته بغض النظر عن ما سيخلفه نتيجة أفعاله "

ويستطرد جون سليفرJohn Silver حول دور التلاعب بالعقول في إرساء دعائم الفوضوية وتفكيك الضمير الجمعي، في كون أن "التلاعب بالعقول يحض على الكراهية وينتقص من قيمة الفرد وتوجيهه وتدريبه بكافة الطرق من صغره إلى شبابه، وبهذا ينشأ لدينا جيل متحارب متناحر يكرهون بعضهم لاختلافهم في التفكير، ولان أهلهم قد نشئوا في بيئة غير بيئتهم".

ومن المقالات السابقة يتضح الارتباط بين التلاعب بعقول المتدينين وتفكيك الضمير الجمعى وكذلك انهيار المجتمع، - وان لم يذكر مصطلح الضمير الجمعى صراحًة - ، كما وضح من المقالة السابقة. والتى انطلقت من فكرة ان تقييد الفكر والتلاعب بالعقول، يجعل هناك سهولة فى التحكم

والتلاعب بهذه العقول، مما يؤدى الى ظهور سلبيات بـالمجتمع وكذلك عدم استقرار المجتمع ومن ثم تفكيك الضمير الجمعى.

جدول(٥) يبين عدد التكرارات والنسب المئوية
لسلطات (مفردات واحداث) لافوضوية يرفضها الملحدون وتؤثر فى التلاعب بعقول المتدينين

م	المتغير	تكرارات ونسب مئوية	
		تكرار	نسب مئوية
١	مسلمون - عرب	١٨٨	%٣٨,٧
٢	مؤمن - يصلي – شعائر	٥٨	%١٢
٣	جنه – اخلاق	٤٥	%٩,٣
٤	القيامة – زمن الحياة البشرية	٤٤	% ٩
٥	يهودية وصايا عشرة	٤٠	%٨,٢
٦	التلاعب بالعقول	٣٣	%٦,٨
٧	أبدية ما بعد القيامة	٢١	%٤,٣
٨	القرأن–الكتاب– قصص- أساطيرورسالات	١٩	%٤
٩	أفكار غبية	١٧	%٣,٥
١٠	جهل- دولة شمولية – سيطرة– تخلف- اكذوبة	١١	%٢,٣
١١	مسيحية – كنيسة – انجيل	٩	%١,٩
	الاجمالي	٤٨٥	%١٠٠

يبين الجدول رقم (٥) علي وجه العموم أن كل النسب المئوية قلت عن (٥٠%) مما يعني أنها تمثل أقلية نسبية، والعنصر الثانى بجدول (١) يبين الأهمية النسبية للفوضوية (الخير) ونسبته (١٧,٩%) ويشمل المترادفات التالية، وفقًا لترتيبها حسب اهميتها النسبية :-

والمتغيرات الخاصة باللافوضوية (الشر) وذلك كما يراها الملحدون – الفوضويون تشمل ما يلي:- مسلمون وعرب بأقلية نسبية مثلت (٣٨,٧%) من إجمالى مجموع تكرارات، (١٨٨)، بينما أتت الاقلية النسبية لكل من المترادفات على التوالي كما يلي:- مؤمن، يصلي، شعائر (١٢%)، جنة، أخلاق (٩,٣%)، القيامة – زمن الحياة البشرية (٩%)، يهودية وصايا عشرة (٨,٢%)، التلاعب بالعقول (٦,٨%)، أبدية ما بعد القيامة (٤,٣%)، القرآن–الكتاب– قصص- أساطيرورسالات (٤%)، أفكار غبية

(٣,٥%)، جهـل- دولــه شـمولية– سـيطرة– تخلـف- اكذوبــه (٢,٣%)، مسيحية– كنيسة– انجيل(١، ٩%).

وتؤكدالباحثـة أن النسـب المئويـة الموضـحة بعاليـه والتـي مثلـت أقليـة نسبية (وهي أقل من نسبة ٥٠%) على أنها نسب ليست ذات دلالة احصائية لتؤكد قوتهـا الاحصـائية، فهـي نسـب ضـعيفة تعكس تعدد وكثـرة المرفـوض سلطته لدى الملحدين، مما يؤثر فى تفكيك الضمير الجمعى.

ولناخذ مثالًا ما سبق من مفردات، فجاءت مفردة الجنـة عند فينوس صفوري Venues Sofore في مقالتها " يوميات امرأة مسلمة في الجنة"ما رأته في حلمها من أحداث تمثلت في أنها بعد أن دخلت الجنة لعملها الصالح في الدنيا واعتناقها لتعاليم الإسلام والإيمان بالله وبمحمد رسول الله، بدأت تشعر بالملل حيث أنه أصبح محكوم عليها بالبقاء داخل الجنـة أبد الآبدين دون أن تخرج منها أو حتى تموت.

ويمكن إجمال أحداث حلم الكاتبة التي أصبحت ملحدة بعد الإيمان بالله من خلال مقولتها التالية:- "والآن وبعد مرور ٦٠ سنه من عمري عشت معظم سنينها في طاعة الله ورحمته ومغفرته قائمة، مصلية، قانتة، محافظة علي فروضي، وصلاتي، وحجابي، وزكاتي، شاكرة لنعمه وفضله مت ميتة هانئة يسيرة، لم اشعر بها، فكنت نائمة واتاني الملاك عزرائيل وسحب روحي من جسدي بكل خفة وسهولة ومررت بمنكر ونكير وحساب رهيب وأسئلة وأجوبة بالميزان لقياس ثقل أعمالي واجتزت الصراط بشق الأنفس وأخيرًا وبعد مشقة ومعاناة ورحلة طويلة دخلت الجنة فهنيئًا لي. . . . "

"يالله ما أجملها من جنة فيها أنهار من عسل مصفي وأنهار من اللبن ومن خمر لذة للشاربين. . . وهاهو الله قد وفي بوعده والقرآن الذي كذب به الكافرون (الملحدون) أمثال كامل النجار وسامي لبيب وأبي لهب، اثبت أنه صادق وهم الآن يحترقون في السعير فها هي الجنة وحان وقت الخلود والاستمتاع الأبدي. . . وبعد أن استمتعت وقرت عيني برؤية الجنة وما فيها. . . وفي خضم انشغالي في البحث بين المؤمنين والمتقين من أحبابي وأقربائي وعبد الغفور زوجي. . وبعد فترة بسيطة أتي نفس الملاك وصحبني على ظهره في رحلة طويلة جميلة كنت أشاهد خلالها المؤمنين وهم متكئين علي الأرائك مستمتعين بما لذ وطاب من نعيم الجنة. . وما هي إلا لحظات حتى هبط بي الملاك في أحد زوايا الجنة الخضراء. . ويا لشده

فرحتي العارمة عندما اختلست النظر إلي الملاك. . بعد أن انتهينا من قبلات اللقاء الساخنة أمسك عبد الغفور بيدي وصحبني معه إلي خيمة اللؤلؤ. . خرجت من خيمة عبد الغفور فوجدت نفس الملاك يقوم ببناء قصر لي في غاية الجمال ومجاور لخيمة زوجي. . " وبعد أن انتهي الملاك من بناء قصري الخاص، وهم بالرحيل عاجلت وسألته عن والدتي ووالدي وصديقتي المنقبة عائشة. . فقال والديكي للأسف في النار، فوالدتك كانت نمامة تنم في خلق الله. . ووالدكي أيضا في النار، لأنه كان يكنز الذهب والفضة وهو حاليًا يكوى بذلك الذهب. . "

وتستطرد الكاتبة الملحدة بعد إسلامها. . " واستمرت حياتي الكئيبة الرتيبة البطيئة في الجنة مع نفس الروتين، ومع سماع التأوهات والضحكات الحورية المستمرة من خيمة عبد الغفور زوجي. . وبعد مرور الكثير من القرون المملة ذهبت إلى أحد انهار الجنة، وهناك استلقيت علي العشب ونظرت إلى أعلى فلا أدري ما أرى. . أين أنا فلا توجد نجوم ولا حتى قمر. . " أغمضت عيني وتذكرت حياتي السابقة في الدنيا وجمالها. . ما أجملها من أيام كانت رائعة رغم مرارة بعضها، ولكنها مرارة جميلة لا تقاس بمرارت الجنة. . والتي أفنيت عمري كله أسعي إليها. . لم اهتم بالإنسانية. . لم أهتم بأحد وسعيت دومًا لتكفير المخالفين وأهتميت بنفسي فقط، فكلما كنت أفعله أو أقوم به في الدنيا من أجل الوصول إلي هنا. . ويالها من خيبة أمل. . أين أنت الآن يا دكتور كامل النجار، أين أنت الآن يا سامي لبيب، فأشهد أمامكما بأنكما كنتما صادقين، وأنني شهدت في الدنيا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله زورا وكذبا وبهتانا".

وتعكس المقولة الأخيرة للكاتبة الملحدة مدى خيبة الأمل لديها بعد وصولها الجنة، بعد كل هذا التدين وهذا الحرمان، وتؤكد الكاتبة على ان هذه المفردات تدعوا إلى التلاعب بعقول المؤمنبن المتدينين، كما يحتوى اسلوب الكاتبة على كثير من السخرية والتهكم على الجنة وكذلك على الدين والاله، وذلك اتفاقًا مع عبدالله العجيرى فى توضيح آليات نشر الإلحاد للملحدين الجدد من سخرية واستهزاء. كما نجد ان مفردات مثل المسلمون والعرب جاءت فى سياق التاريخ المرتبط بالحروب والغزوات، مما يشير الى ان المسلمون هم أهل حرب وعدوان فقط، كما ان هناك رفض لإضاعة

الوقت فى الصلاة وفى التعبدات التى ليس لها قيمة فى النهاية فهى حياة واحدة يعيشها الانسان .

الفرض الفرعي رقم (٢)

أن الملحدين يرفضون سلطة القوانين السماوية.

مقالات المجلة التى تتفق مع الفرض:-

- **هناك تعارض بين الفكر الفوضوي الإلحادى وفكر القوانين السماوية من خلال نقد الوصايا العشر.**

ومن المقولات الداعمة لصحة هذا الفرض، وأن هناك علاقة صراع بين الفكر الإلحادي ووصايا وتعليم الدين :- يقول (جورج كارلن في مقالة الوصايا العشر).

"كان يا ماكان قبل خمسة آلاف سنة قام مجموعة من بلطجية الدين والسياسة بالإجماع لكي يجدو طريقة تمكنهم من السيطرة علي الناس وبقائهم تحت سلطانهم. . هم عرفوا أن الناس يتسمون بغباء فطري، وأنهم سيصدقون أي شئ يقال لهم، فقام هؤلاء بالإعلان أن الله. . نعم الله شخصيًا أعطى واحدًا قائمة بعشرة وصايا وأوامر يرغب حضرة جناب الله أن يطبقها الجميع بدون استثناء. . وفوق ذلك إدعوا (بلطجية الدين) أن كل هذا حدث على قمة جبل، حيث لم يكن هناك أي إنسان ليشهد بصحة ذلك. (ويتساءل جون كارلن). . عندما كان هؤلاء الأشخاص جالسين في الخيمة يؤلفون كل هذه القصة، لماذا اختاروا عشرة وصايا لماذا العدد عشرة؟ لماذا ليس تسعه أو أحد عشرة؟. (ويجيب جون كارلن). . لأن الرقم عشرة يوصي بأهمية ويعبر عن الرسمية. . ولكن العشرة شيء مختلف. . والعشرة موجودة في النظام العشري (هذا على الرغم من أن الباحثة تري أن النظام العشري لم يكن موجودًا وقت التقاء بلطجية الدين)، ويستطرد جورج كارلن. . العشرة هي رقم له من القبول النفسي. . . لذا كان من الواضح جدًا أن اختيار عشرةوصايا حصرًا كان قرارًا تسويقيًا بجدارة. . . ولكن كل هذا لا يغيرمن حقيقة أن محتوى القائمة هراء في هراء. . ولو أتينا للواقع نجد أنهالاتعدوعن كونها وثيقة سياسية نفخت وضخمة لتلقي رواجًا ومستهلكين ".

ويستكمل جورج كارلن قوله (حين ينتقد الوصايا العشرة) للرب "سأبين لكم كيف يمكن أن نختصر عدد وصايا هذه القائمة لتصل إلى قائمة أكثر منطقية وواقعية" (والباحثة تنوه إلى أن المفكر الإلحادي

صاحب هذا المقال باتجاه إلى اختصار تلك الوصايا إنما يعارض الوصايا الدينية)، والتي هي من المفترض أنها من الرب، حيث يقول هذا المفكر، سنبدأ بأول ثلاثة، وسأستخدم نسخة الروم الكاثوليك كونها النسخة التي تم حشوها في رأسي وأنا طفل صغير، وذلك على النحو التالي:-

- " أنا الله ربك يجب أن لا يشرك آلهة غريبة معي ".
- " يجب أن لا يأخذ أسم الله الرب سدي ".
- " يجب أن تحفظ يوم السبت حسنًا ".

ويتضح الفكر الإلحادي في مقولة المفكر الملحد حيث يقول " أولًا وقبل كل شئ. . الوصايا الثلاث الأولى ليست إلا هراء محض. . فحفظ السبت، وأيام الرب. . والآلهة الغريبة، ليست إلا لغة غامضة، وطلاسم مخيفة مصممة للإخافة والسيطرة على شعوب بدائية ولا يمكن ابدًا لخرافات وطلاسم من هذا النوع أن تطبق علي حياة ناس عاقلة متحضرة في القرن الحادي والعشرون".

ويضيف المفكر الملحد ". . (اذًا) يجب أن تلقي بهذه الوصايا الثلاث إلي صفيحة القمامة. . أما عن الوصية الرابعة وهي (أكرم أباك وأمك)". فيقول المفكر الملحد، "أنها عن الطاعة واحترام السلطة، وأنها ليست إلا أداة للسيطرة على الناس، فالطاعة والاحترام لا يجب أن تمنح بشكل أوتوماتيكي. . يجب أن تمنح للوالدين (أو الرمز الممثل للسلطة) اعتمادا على أدائهم وما يقدمونه، فبعض الأباء يستحقون الاحترام بالفعل والباقين لا يستحقونه. .".

أما عن الوصيتين الخامسة والسادسة وهما" يجب أن لا تسرق "، "يجب أن لا تشهد شهادة زور". فإن المفكر الملحد يرى "أنه من الممكن دمجهما، حيث إن السرقة والكذب تغطيان السلوك ذاته، لذا نحن لا نحتاج إلى اعتبارهما منفصلتين". ويستكمل نفس المفكر حديثة " بأننا طالما نقوم بعملية دمج الوصايا، فهناك وصيتين أخرتين يمكن وضعهما معًا وهما "يجب أن لاتزنى"، "يجب أن لا تشتهي زوجة جارك "، فهاتين الوصيتين تتكلمان عن سلوك واحد، وهو عدم الوفاء الزوجي أو الخيانة الزوجية. . . ولا يجب (كما يرى المفكر الملحد)أن تجرم الخيانات الجنسية حول زوجة رجل أخر. . .، ولكن الوفاء

الزوجي شئ جيد، ومن ثم يقترح المفكر الملحد بالإبقاء على الفكرة، فكرة الوفاء الزوجي، فعندما تفكر أكثر في الموضوع تجد أن الأمانة والوفاء مرتبطتان معًا، ويعبران عن قيمة أخلاقية واحدة، وباستخدام صيغة ايجابية بدلًا من صيغة المنع، حيث تبقي علي الدوام الصيغة التي تتضمن الوصية الواحدة".

والوصية التالية " يجب ألا تحسد جارك علي ممتلكاته "، المفكر الملحد يعتبر أن الأخذ بهذه الوصية هو غباء صافي، فاشتهاء ممتلكات جارك هو ما يجعل عملية الاقتصاد تستمر. . فاشتهاء ممتلكات الآخرين إنما يخلق وظائف ويدعم الاقتصاد. . ويستطرد المفكر الملحد. . لهذا يجب أن ندعوه وشأنه (أي ما يشتهي ممتلكات الجار). . ومن تم يجب أن ترمي تلك الوصية من النافذة. ."

وعن الوصية التالية " يجب أن لا تقتل "، يقول المفكر الملحد، "ولكن اذا فكرت قليلًا بها لوجدت أن الدين لم تكن له مشكلة مع القتل أبدًا. . والذين قتلوا باسم الآلهة أكثر بكثير من الذين قتلوا باسم أية حجة أخرى. . ولنذكر القليل من الأمثلة على ذلك في التاريخ الايرلندي، الشرق الأوسط، الحروب الصليبية، محاكم التفتيش". "وقبل قيام الأطباء (بالقتل). . الذين يقومون بالإجهاض. . أحداث مركز التجارة العالمي. . (فكر بها لتري مدي جديه الدين بأخذ كلمة لا تقتل علي محمل الجدية). . وعلى ما يبدو فان جماعة المتدينين وخصوصًا المخلصين بشدة منهم يعتبرون القتل شئ قابل للتفاوض، فالموضوع يعتمد على من يقوم بالقتل ومن يقتل".

ويضيف المفكر الملحد "وهكذا يوضع كل هذا في الحسبان، حيث يقول لأصدقائي أقدم لكم نسختي المعدلة من قائمة الوصيتين كالأتي :-

أولا :- يجب أن تبقي علي الدوام أمينًا ووفيًا.

ثانيا:- يجب أن تحاول بجدية أن تتجنب قتل أي أحد".

ويستطرد المفكر الملحد بقوله "أن هاتين الوصيتين فقط هما كل ما تحتاجونه يا أصدقائي.

ولكن قبل إضافة الوصية الإضافية التالية للقائمة " احتفظ بدينك لنفسك"

وبهذا يمكن إجمال الوصايا التي نادي المفكر الإلحادي بضم البعض منها للآخر (اختصارها) والتي نادي بها الله (كما يفترض)، وأمر أن يطبقها الجميع بدون استثناء، ويعتبر ذلك اعتراض (من قبل الفكر الإلحادي)، علي تلك الوصايا الالهية لعدم قبولها علي ما جاءت به في فكر بلطجية الدين" (من ٥ ألاف عام تقريبا كما سبق الإشارة).

- **<u>ان الإيمان بوجود الإله العادل يتطلب تحقيق العدالة وإعطاء الحقوق لأصحابها على الأرض.</u>**

وفي الكشف عن حقيقة وصحة هذا الفرض نستعين بما طرحه سمير سامي Sameer Samy كأحد الملحدين من بعض التساؤلات، وكذا الإجابة عليها، والتي يمكن من خلالها الوقوف على طبيعة هذه العلاقة، والتي تعبر عن الفكر الإلحادي، وذلك علي النحو التالي :-

"هل تجد في قرارة نفسك أي احتياج إلى إله رغم عدم قناعتك بوجوده ؟ هل يراودك حنين إلى الله العادل الذي سيظهر عدله في الآخرة، ان لم يحدث العدل في الدنيا؟ وكيف تواجه مصائب الحياة بدون الالتجاء إلى قوة فوقية عليا تستند إليها في الأزمات ؟"

وبعد طرح الاسئلة السابقة على القاريء أو المهتم بموضوع - الإلحاد - بوجه عام، أجاب سمير سامي "بأنه يرفض هذه التساؤلات" وأضاف بقوله " وربما هذا هو الذي جعلني مختلفًا عن بعض الملحدين الذين انتقلوا إلى الإلحاد من موقف يمكن وصفه بالكفر " كما أضاف بقوله " أنا لا أجد مبررًا ولا حتى حاجة إلى قوة أو كيان أو رمز يمنحني السعادة أو الصبر. انا مدرك تماما لكون الحياة غير عادلة ولامفصلة خصيصًا لتناسب أهواءنا وأهدافنا، لهذا لا أجزع ولا احتاج للجوء لأي شيء (ويعني الله). . . أنا أدرك الواقع وأتعامل معه أولًا بأول. . . كما أنني أرى في فكرة العدالة بعد الموت مرضًا خطيرًا يصيب الأخلاق. فبمجرد الإيمان بوجود هذه العدالة. . . بل وجود الإيمان باحتمال وجود هذه العدالة بعد الموت كفيل بقتل أي دافع أخلاقي هدفه تحقيق العدالة وإعطاء الحقوق لأصحابها على الأرض، ويختتم سمير سامي Sameer Samy مقاله والذي يعكس فكره الإلحادي في مقولته "أنه اذا كان عندي إيمان بشيء، فهو بأنه في النهاية لن يصح إلا الصحيح، وسيأتي يوم ينظر فيه الإنسان للدين على انه مثار للسخرية".

جدول(٦) يبين عدد التكرارات والنسب المئوية للمؤثرين الأشخاص الذين يرفضون سلطة الدين والدولة المؤيدون من الفوضويين.

م	المؤثرون الأخيار (الخير)	تكرارات ونسب مئوية	
		تكرار	نسب مئوية
١	ملحدون	٤٥	%٥٠
٢	ابليس	٣٣	%٣٧,٢
٣	فراس السواح	١	%١,١
٤	بن كريشان	١	%١,١
٥	عبد الله القصيمي	١	%١,١
٦	كامل النجار	١	%١,١
٧	سامي لبيب	١	%١,١
٨	صادق جلال العظيم	١	%١,١
٩	أبو لهب	١	%١,١
١٠	بيل كتس	١	%١,١
١١	هتلر	١	%١,١
١٢	موسو ليني	١	%١,١
١٣	منكر – نكير	١	%١,١
	الاجمالي	٨٩	%١٠٠

أشارت بيانات الجدول رقم (٦) إلى التكرارات والنسب المئوية للمؤثرين الخيرين في أفكار وأراء الفوضويين الملحدين، وجاءت الأهمية النسبية الأعلى (٥٠%) بتكرارات (٥٠)، لتمثل الغالبية المطلقة للملحدين، تلاها في الأهمية النسبية ابليس (٣٧,٢%) بتكرارت (٣٣)، وهي أقلية نسبية ثم تساوي بعد ذلك كل الأفراد المؤثرين بأهمية نسبية مئوية (١,١%) وبتكرارت مرة واحدة لكل متغير.

ولنأخذ مثالًا من هذه الشخصيات، فنجد شخصية ابليس فى مقولة جون سيلفر John Silver في مقالته " عزيزي إبليس. . لا تخاف كلنا معك" "منذ فترة وأنا أفكرفي كل تلك القصص الموضوعة عن إبليس من رفضه السجود لآدم إلى تضليل البشرية ليدخلوا في النار، وطبعًا باعتباري ملحد ومشكك، وهذه كلها قصص ذات معنى مؤذى، قررت أن أسأل نفسي: هو الشيطان بالفعل عدوللإنسان؟ ولم كان؟ ولما قام بما قام به؟ طبعًا من وجهة نظر قصصية، الله يظهر بمظهر الهوائي الذي في كل مرة يتصرف

حسب هواه ويظهر إبليس بوضع المظلوم الحامل لثقافة الانتقام من آدم الذي كان السبب بطرده من الجنة. . ويستطرد (المفكر الملحد). . وهنا ينتابني سؤال آخر، أن كنا نرفض ثقافة الانتقام وسندين ابليس بها، أو ليس تعاليم الإسلام تحمل كلها ثقافة الانتقام من القاتل، الذي يقتل إلى قطع الأطراف والجلد والعقوبات الجسدية بأنواعها، إذًا كيف نريد أن ندين إبليس بموضوع يقره الله"

"ننتقل لموضوع المعركة الأزلية بين الخير والشر، الخير متمثل بالله والشر متمثل من إبليس، سأسأل كم شخص قتله إبليس ولماذا؟ وكم شخص سيقتل يوم القيامة بواسطة إسرافيل؟ ولماذا؟. . النسبة واضحة ولا مجال للمقارنة، ثم ما الذي يفعله إبليس. . يوسوس لنا، أما الله فبيده كل شيء. . إبليس يجعلك تشرب الخمر الذي خلقه الله وجعله مسكرًا ويجعلك تقتل. . . إبليس يجعلك تزني وترتكب تلك الغريزة التي وضعها الله بك، لم نكن نتكاثر بالدرنات أوالكروزومات أوحتى الانقسام، من أوجد الخطأ؟ ولما يلام إبليس لجعلنا نرتكبه. . "

وبعد الوصية السابقة، فان الباحثة ترى في المقولة التالية للمفكر الملحد" عبد الله القصيمي" انعكاسًا للفكر الإلحادي بوجه عام"كم أنت كبيرياإبليس وكم أنت كبير يا الباتشيلو عندما مثلت دور الشيطان في فيلم (محامي الشيطان) وقلت عبارتك الشهيرة : "حسنًا دعني أعطيك بعض المعلومات عن الله " الله يحب أن يشاهد، أنه صاحب مقالب، فكر بالأمر، هو وهب الإنسان الغريزة، هو هذه الهدية الاستثنائية، وماذا فعل، أقسم أنه ولمتعته هو، في سبيل مسرحيته الهزلية الكونية الخاصة، يقوم بوضع القوانين بشكل معاكس متعمدًا أنها مهزلة كل الأزمنة، أنظر ولكن لا تلمس، المس ولكن لا تتذوق، تذوق ولكن لا تبلع هههههه، وبينما أنت تتراقص وتقفز من قدم إلي أخرى ماذا يفعل هو؟ أنه ينقلب علي مؤخرته المريضة من الضحك ؟ إله متزمت أنه سادي، أنه صاحب الدار المتغيب على الدوام؟ أتريدني أن أعبد هذا الشيء ؟".

ويستطرد المفكر الملحد، "لذا أكرر في جميع القصص الدينية، أنا أكن كل الاحترام والتقدير للشيطان ذلك المظلوم الأبي صاحب عزة النفس". وهنا مزيد من التقدير والاحترام لإبليس لانه تمرد على سلطة الرب، بالرغم من طول فترة عبادته للرب فترة طويلة من الزمن قبل ظهور آدم عليه

السلام، وبمجرد رفضه السجود لآدم وقعت عليه اللعنة الآلهية دونما اعتبار لعبادته السابقة.

الفرض الفرعي رقم (٣)

ان الفوضويين الملحدين يرفضون سلطة المجتمع .

مقالات المجلة:-

- **تساهم الثقافة العربية في تدعيم الفكر الفوضوي.**

اتت بعض المقولات في المجلة مجال الدراسة لتدعم صحة هذا الفرض بنسبة كبيرة، حيث يقول راضي عقل في مقالة " الأخلاق في الإسلام " " تعتمد ثقافتنا العربية بشكل شبة كامل علي تشجيع التلقين والحفظ ومحاربة التجديد والإبداع والأخلاق، ولعلة من التكرار الممل أن آتي بأمثلة علي ذلك، فمن عاش في منطقتنا ودرس في مدارسنا وجامعاتنا يعرف أن طريق النجاح والتفوق هو الحفظ والاستظهار والتكرار أما الفهم والبحث فهو لزوم مالا يلزم، فالأمر سيان فيه وبدونه "

ويستطرد راضي عقل " وتشجع الأنظمة والعقائد الشمولية الدوغماتية ذلك بكل قوة. . . وتحارب بقوة مماثلة التميز الفرض وملكة البحث والتحري عند الناس، فالعقائد الشمولية العلمانية منها والدينية تقدم نفسها بصفتها مالكة الحقيقة المطلقة، ولها حساسية زائدة تجاه أي اختلاف مع أطروحاتها التي تقدم علي أنها مسلمات غير قابلة للنقاش وبديهيات لا تحتاج إلي إثبات ".

وتعكس المقولة السابقة حقيقة أن ثقافتنا العربية عقيمة تدعو للتلقين ولا تدعو للابتكار واحترام ملكة البحث وذلك كما يري الفكر الإلحادي. وبالتالى تنتمى هذه الافكار الإلحادية إلى أفكار الفوضوية فى إعلاء قيمة الفرد وان كل مواطن هو مشرع لنفسه، واتهمت الفوضوية المؤسسات بتهديد الحرية الفردية وطالبت بإزالتها لضمان الحرية الحقيقية للإنسان وفتح الطريق أمام مجتمع جديد يقوم على الارتباط التلقائى الحر بين المواطنين، بعيدًا عن المؤسسات الثقافية العقيمة بالمجتمعات الشرقية. وقد أتفق هذا مع ماتدعوا إليه الفوضوية عن بشرية عقلانية متنورة تتخلص من قيود المؤسسات التي كانت ملائمة للسلوك غير العقلاني في العصر البدائي.

تؤثر التنشئة الاجتماعية والثقافية في ظاهرة الإلحاد داخل المجتمع.

وحول هذا الفرض:- يقول سمير سامي SAMEER SAMY في مقاله (الغراب الحكيم) "أن بداياته مع الإلحاد كانت منذ (٨ سنوات)، أي أن الإلحاد يحدث بالتدريج البطيء، ودون أن يشعر به الإنسان، وما يمكن تحديده فقط هو لحظة اعتراف الإنسان أمام نفسه بأنه ملحد وقبوله لهذه النتيجة والتي عادة ما تكون شديدة الانفجار".

ويستطرد سمير سامي بقوله " بالنسبة لي لم تكن لحظة اعترافي بإلحادي لنفسي بتلك الشدة. . بدايتي مع منتدى وشبكة الملحدين العرب كانت منذ (٨ سنوات) كما قلت، ولكن كنت أقرأ وأطلع على بعض ما وصل لدي من كتب وأفكار مناهضة للدين قبل ذلك بكثير، كما أنني ربما كنت محظوظًا بنشأة متحررة غير متعصبة ولم أخضع لغسيل دماغ. . " الذي عانيت منه ومازلت يمثل نوعا ما من الحوار، حيث كنت في البداية ضعيفًا أدرك أن الدين وإلاله، ليس إلا سخافات للإنسان الحجري لا تختلف عن الرقص عاريًا حول نار القبيلة أوذبح دجاجة ودهن الوجه بدمائها لطرد الأرواح الشريرة. . ولكني لم أكن اعرف كيف أوصل هذه الفكرة ولم تكن لدي ذخيرة حوارية ولا خبرة".

وكما يتضح من المقولة السابقة يقرر الملحد ان التنشئة الاجتماعية الحرة بدون قيود تؤدى إلى حرية التفكير ثم حرية اتخاذ القرار، دون التقيد بمؤسسات دولة دينية أو اجتماعية تدعم الفكر السلطوى . كما ان ماسبق يؤكد دعوة الفوضويين والملحدين إلى حرية التفكير دون قيود حتى فى الممنوع أو المحظور من الضمير الجمعى.

الفرض الفرعي رقم (٤)

ان الفوضويين الملحدين يرفضون سلطة الخوف من العقاب التى يمارسها الدين والاله.

مقالات المجلة:-

- **يرتبط الفكر الإلحادي برفض العقاب مثل دخول النار" بحسب فكر الديانات السماوية "**

وفي الوقوف على مدى صحة هذا الفرض ومن المقولات التي تضمنتها مقالات هذه المجلة، والتي يعتمد عليها في تحليل هذا الفرض، مقالة "راضى عقل":- "مما لا شك فيه أن الدهماء والغوغاء واللصوص

يحتاجون للعقوبات لضبط تصرفاتهم، ولكن القوانين البشرية تستطيع ردعهم دون الحاجة لآلهة ودون ادعاءات أخلاقية من أي نوع. . . والخوف من الله هو جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية. والمؤمن الحقيقي لا يمكنه أن يأمن فكر الآلهه بأي شكل من الأشكال، وهذا طبعًا لا يكفي، فالعقوبات الوحشية الدنيوية تنتظر من لم يخاف بشكل كافٍ من عقوبات الآخرة. . والطمع بالجنة هو الجزء الثاني، وهذا أيضًا لا يكفي، فالسبايا والغنائم والسراري تسكب العزاء مؤقتًا في قلوب من لايستطيع انتظار المكافأة المؤجلة ".

يوضح سمير سامي في مقاله الإلحادي "إشكالية دخول النار " أن النار بحسب التصور الإسلامي والمسيحي أيضا علي ما بينهما من اختلاف انما تمثل مكانًا للعذاب الأبدي، العذاب الأليم والفظيع والذي لا ينتهي، عذاب كله ألم ومعاناة أكثر من أي معاناة ممكنة في الدنيا بعشرات أو ربما بآلاف المرات، عذاب ابدي لا ينتهي ولا بتريليون سنة. . . بل أبدالآبدين. . . متى ينتهي هذا العذاب، فيكون الجواب لن ينتهي أبدًا".

"إن كل ما رأيته حتى الآن ليس سوى البداية"، ويستكمل نفس المفكر الإلحادي حديثه " والمشكلة الأخرى أن هذا العذاب لا يوزع بين الناس بحسب الشرور التي قاموابها، فالعذاب هذا ليس مخصصًا للقتلة أوالمجرمين. . . بل هو مخصص لكل من لم يقر بنبوة محمد فقط لا أكثر ولا اقل، يعني لو كان الشخص مؤمن بالله ويعمل عمل صالح ولكنه غير مسلم. . . فسيكون مصيره إلي هذه النار".

"ولو كان شخص لا ديني أو حتى ملحد (لا يؤمن بالله) ويعمل عمل صالح وينفع به البشرية نفعًا كبيرًا. . لن ينفعه كل عمله الصالح وسيلقي به في النار. . لماذا. . . ؟لأنه غير مسلم، يعني العقوبة أصلا ليست من اجل معاقبة الأشرار. . بلا من اجل معاقبة من لم ينضم للدين، وليس للعقوبة علاقة بالخلق أو العمل الصالح ".

ويضرب المفكر الإلحادي سمير سامي مثالًا يعكس نظرة الفكر الإلحادي في الإسلام وفي النظرية الإسلامية، "حيث يقول مثلًا:أن بيل جيتس قدم الكثير للبشرية. . . ورغم أنه اغني أهل الأرض. . . فهو ليس شخصًا جشعًا، فقد تخلي عن منصبه في شركته وتحول إلى العمل الخيري، ويعني انه بعد أن نفع البشرية بالتكنولوجيا. . . فهو الآن ينفعهم بالعمل الخيري".

"المفروض لو كان هناك حساب بعد الموت، فأن العدل يقتضي أن يكافأ بيل جيتس " على أعماله الصالحة. . ولكن النظرية الإسلامية تقول أنه سيجازى بأشد العذاب. . . ليس لأنه شرير أو جشع أو مجرم أو ظالم أو قمعي. . . بل فقط لأنه غير مسلم". ويضيف المفكر الملحد ". . . وحتى لو فرضنا أن عدم التصديق بالإسلام ذنب، فهو ذنب صغير جدًا ولا يستحق هذا العقاب مطلقًا".

ويطرح المفكر الملحد مثلًا أو قياسًا خاطئًا ينسبه إلى الفكر الإسلامي، حيث يقول "تخيل أن ولدًا دخل على بيته، فسلم على أهله وردوا السلام جميعهم ما عدا احد أطفاله الصغار لم يرد السلام، فاستشاط الأب غيظًا وأخذ يضرب أبنه ضربًا مبرحًا ثم سلخ جلده ثم رماه في الفرن وشواه حيًا. . . حتى الموت !!عقوبة غير منطقية وغير أخلاقية، ولا يمكن لأي عاقل سوي أن يقول أن هذه جريمة شنعاء فاعلها مجرم. . . ولكن الإسلام ينسب نفس هذه الجريمة الى الله. . وفضلا عن كون النار عقوبة غيرعادلة وغير معقولة. . . فأن الله لا يحتاج إلى رمي أحد في النار. . . "ويضرب المفكر الملحد مثالًا أخر يعكس نظرة الفكر الإلحادي إلي الدين، حيث يقول، " تخيل انك تنظر إلى مجموعة من النمل يسيرون وتاهت إحدى النملات وتركت جماعتها. . . ربما إذا فكرت بعض الشيء ستقول لنفسك أن هذه النملة ضلت الطريق، لكنك لن تغضب منها ولن تدخلها النار. . . فهي كائن غير مهم، وكونها قد ضلت الطريق لا تضر بشيء مطلقًا. . . ولا يوجد أي داعي لأن تغضب وتستشيط غيظًا، وتقرر تعذيب تلك النملة ".

ويعقب المفكر الإلحادي على ذلك المثال، "أنه بقياس بسيط نرى بكل بساطة أنه من المستحيل أن عدم الإيمان بدين معين، سوف يغضب الله بحيث يقوم بتعذيب الناس بهذه الطريقة. . " كما يعقب المفكر الملحد أن تفكيره بعد أن أصبح ملحدًا قد اختلف عن تفكيره خلال فترة اعتناقه للإسلام، حيث يقول "اختلف تفكيري حينما كنت مسلمًا، " وأفكر في هذا السؤال"، فاني لا أجد جوابًا سوي أن أقول أن الله سيحاسب الناس يوم القيامة، وأكيد لن يظلم أحدا. . . ولكن كيف؟ لا أدري. . فحتى لو قلنا أن من لم يسمع بالإسلام أو سمع عنه بصورة مشوهة سوف ينجو من العذاب، ومن خلال ما سبق يمكن طرح السؤالين التاليين، السؤال الأول :حتى لو سمع شخص عن الإسلام بصيغة غير مشوهة، ولكنه مع ذلك لم يقتنع به،

أو لم يقتنع بأنه من عند الله، فلماذا يعذبه الله عذابًا ابديًا؟، السؤال الثاني:إذا كان كل من لم يسمع بالإسلام ينجو من النار، فان السماع بالإسلام في هذه الحالة سوف يكون مصيبة، لانك أذا سمعت به ولم تؤمن ستدخل النار، اذًا من الأفضل للبشرية أن لا تسمع بالإسلام ولا تعلم عنه شيئًا لكي ينجو جميع الناس يوم القيامة".

ويضرب المفكر الملحد مثالا يعكس نظرته للإسلام، حيث إن من اعتنق الإسلام في نظره (ولم يطبق تعاليمه على الوجه الأكمل سيكون مآله إلى النار)، حيث إن الإسلام وفقًا للفكر الإلحادي لايكون رحمة للعالمين وقد ضرب مثالا على ذلك حينما قال " تخيل معي غرفة ضيقة فيها أحد البلطجية، إذا دخلت إليها بالخطأ سوف يسألك هذا البلطجي سؤال عشوائي، فإذا أجبت بالإجابة الصحيحة (وفقًا لفكر هذا البلطجي) فأنه يقول لك تفضل أخرج لقد نجوت، وإذا أجبت إجابة خاطئة فسيقوم بتعذيبك أشد العذاب".

ويستكمل المفكر الإلحادي حديثه، "أنه من الأفضل ألا يدخل أحد هذه الغرفة (ويعني بالغرفة هنا الإسلام)، أبدًا لأن الدخول فيها يعني انك من الممكن أن تتعرض للعذاب الشديد، بينما عدم الدخول فيها يضمن لك النجاة من هذا العذاب المخيف، إذًا هل يمكن أن نصنف هذه الغرفة أنها رحمة للعالمين، أم هي نقمة".

ويستطرد المفكر الإلحادي في حديثه بما يكشف عن نظرة الإلحاد للدين بوجه عام وللدين الإسلامي - والقرآن بوجه خاص، وذلك من خلال حواره التالي حيث يقول : "وإذا قلنا من لا يسمع بالدين ينجو من النار، فهذا يعني أن الدين نعمة للعالمين، إذًا يجب أن نغير العبارة إلى من لا يسمع بالدين يحاسبه الله على عمله الصالح والسيئ فقط. " ويسترسل المفكر الملحد ". طيب إذا كان الحال كذلك مع من لا يسمع بالدين، فإن المشكلة المنطقية ستبقى قائمة، وسيظل الدين نقمة للعالمين، لأنه في هذه الحالة : من سمع بالدين ولم يؤمن به يدخل النار ولا تشفع له أعماله الصالحة. ومن لم يسمع بالدين سوف يحاسب على أعماله، فإذا كانت صالحة يدخل الجنة وإذا كان شريرًا يدخل النار. " ويستطرد المفكر الإلحادي ". إذًا من الأفضل أن لا نسمع بالدين. قد يقول قائل وكيف نعمل الأعمال الصالحة من دون دين؟ وهذا سؤال سخيف في الحقيقة، انظر إلى أرجاء العالم لترى

قمم الفضيلة عند شعوب ومجتمعات لا تعرف الدين. . إذًا لا يوجد مخرج سوى القول أن الله سيحاسب الناس بحسب عملهم وليس بحسب دينهم. . "

"ومما سبق يمكن طرح التساؤلات التالية : لماذا أنا مؤمن؟ لماذا أصلي؟ أذا كان غير المسلم يمكن أن يدخل الجنة بأعماله الصالحة ومن دون أن يصلي، فلماذا أصلي إذًا؟ وما فائدة الصلاة ؟ لماذا أصوم، اذا كان غير المسلم يأكل الطعام في رمضان وسيدخل الجنة يوم القيامة بعمله الصالح؟ ".

واستكمالًا لما يتعلق برؤية المفكر الإلحادي للإسلام والقرآن ورسالته، فلقد تضمن مقال" إشكالية دخول النار" أيضا إن رسالة القرآن واضحة جدًا : النار هي مصير كل من لا يسلم. . ولا يوجد أي هوادة في ذلك، بل أن القران يؤكد في عدة مواضع علي أن الله توعد الناس أنه سيملئ النار منهم. ومن الصعب جدا أن تجد أي إشارة في القرآن إلى أن النار مخصصة فقط للأشرار مثلا، أو أن من يعمل خيرًا من دون إيمان، يمكن أن تصيبه رحمة الله وينجو من النار، بالعكس هناك تأكيد علي أن العمل الصالح لن ينفع "الكفار" يوم القيامة".

ويعكس ما سبق أن النار في الفكر الإلحادي هي عقوبة وهمية مصممة خصيصًا لتخويف أتباع الدين ومنعهم من ترك الدين أو الخروج علي تعاليمه، وبالتالى رفض اى سلطة كالفوضوية.

" الله ليس له مصلحة في إلقاء الناس في النار" ولكن الدين له مصلحة في تخويف الناس تخويفًا شديدًامن أن مصيرهم سيكون عذاب النار الشديد والأبدي إن هم تجرؤا على التفكير في الدين.. وحين أدركت هذا المعني بوضوح، أصبحت شبه متيقن أن الإسلام ليس هو الدين الحق ".

ويؤمن الفكر الإلحادي كما ورد في مقال "إشكالية دخول النار" لسمير سامي بأن ما ينطبق على الدين الإسلامي (من كونه ليس دين الله الحق، ومن ثم يجب الخروج منه، وأن الخوف والحواجز النفسية الكثيرة التي يضعها الدين في عقل المرء تجعله يتردد كثيرًا في التفكير في هذه المسائل)، ينطبق ذلك أيضًا على المسيحية واليهودية، حيث ينظر الفكر الإلحادي أيضا إلي تلك الديانات على أنها باطلة تقول بخلود غير المؤمنين في النار، ويستطرد صاحب هذا المقال بما يعكس فكره الإلحادي بقولة " وناهيك عن الكم الهائل من التخريف والأخطاء العلمية في التوراة والإنجيل

". أي أن الفكر الإلحادي لم يفرق بين ديانة وأخري، وأن هذه الديانات قائمة علي عقوبة النار وتخويف أتباع الدين ومنعهم من تركه أو الخروج منه.

جدول (٧) يبين عدد التكرارات والنسب المئوية لمتغيرات تمثل سلطة أشياء يرفضها الفوضويين

م	المتغير	تكرارات ونسب مئوية	
		تكرار	نسب مئوية
١	النار – الشر	٥٥	%٣٦,٧
٢	عذاب – عقوبة	٤٨	%٣٢
٣	خوف	٢٤	%١٦
٤	ليبرالي – علماني (لرفض عقابهم)	٦	%٤
٥	قتل – اجهاض	٤	%٨,٧
٦	سلطة الطوطمية	٣	%٢,٦
الاجمالي		١٥٠	%١٠٠

تشير بيانات الجدول (٧) إلى أن جميع النسب المئوية أقل من (٥٠%) أي أقلية نسبية، ويرتبط ذلك بجدول (١) الذي يبين الأهمية النسبية للفوضوية (١٧,٨%). ويتضمن جدول(٧) المترادفات التالية على الترتيب حسب الأهمية النسبية لسلطة الاشياء المرفوضة كما يلي :-

النار،الشر(٣٦,٧%)، عذاب، عقوبة (٣٢%)، خوف (١٦%)، ليبرالي، علماني (٤%)، قتل، اجهاض (٨,٧%)، سلطة الطوطمية (٢,٦%).

ويعكس ما سبق أن النار في الفكر الإلحادي هي عقوبة وهمية، مصممة خصيصًا لتخويف أتباع الدين ومنعهم من ترك الدين أو الخروج علي تعاليمه. لذا فالنار تعد من متغيرات الخير وليست من متغيرات الشر علي الاطلاق لانها في الأصل عقوبة وهمية في نظر الملحدين.

نتائج الدراسة وتوصياتها:

توصلت الدراسة إلى نتائج تثبت فروض الدراسة، من حيث إن افكار الفوضويين الملحدين سوف تؤدي إلى تفكيك الضمير الجمعي، وذلك برفضهم لأى سلطة عليهم، سواء كانت سلطة دينية أو سياسية، وخاصًة سلطة الاله ورجال الدين وكذلك سلطة المجتمع، وأن الفوضوية الإلحادية عندهم أمر حتمى لامفر منه وأن هذه المجتمعات بسلطاتها إلى زوال. هذه الفوضوية الإلحادية تعمل على تضليل الوعى الجمعي من خلال نشر

أفكارهم عبر الوسائل المختلفة، التكنولوجية وغيرها من الوسائل، ومن ثم تفكيك الضمير الجمعى.

وبإثبات فروض الدراسة الحالية، يتم اثبات مقولات دوركايم النظرية فى أن مخالفة الدين هى مخالفة الجانب الاخلاقى من الضمير الجمعى، لان الضمير الجمعى هو أحد مكونات بناء المجتمع والدين أهم عناصر الضمير الجمعى، وان وظيفة الدين هى ربط الأفراد بمجتمعهم بقوة، وكذلك خلق وتدعيم الاحتفاظ بالتضامن الاجتماعى.

وهذه النتائج التي توصلت اليها الدراسة يمكن أن تكون مفيدة بالنسبة لراسمي السياسات الثقافية والمسؤولون عن الخطاب الديني الرسمي في الدولة، إذ ان مثل تلك الجماعات (ووفقا لعنوان البحث واشكاليته ترتبط بهدم وتفكيك الضمير الجمعي)، لها آثارها السلبية على البنية الثقافية للمجتمع في الوقت الراهن، وتلك مسألة في منتهى الخطورة، خاصة في ظل التحولات والتحديات المختلفة التي يعيشها المجتمع المصري بل والمجتمعات العربية عموما، ففي ظل تصاعد المد العولمي والذي وصل الآن إلى ما بعد العولمية، وفي ظل تصاعد العديد من الدعوات التي تتنافى والمرتكزات الثقافية للمجتمع المصري بل والعربي، والتي يشكل فيها الدين جانبًا مهمًا وخطيرًا للغاية في صياغة الوعي والعقل الجمعي ومن ثم الضمير الجمعي، فإن رصد وفهم مثل تلك الظواهر سيكون مفيدًا للغاية على أبعاد عديدة، فهو من ناحية سيساهم في إعادة بناء الخطاب الثقافي الراهن في ضوء ما يتعرض له هذا الخطاب من تحديات، فضلا عن أن فهم التأثيرات التي يمكن أن تحدثها تلك الجماعات من تفكيك للضمير والوعي الجمعي، بما يترتب على ذلك من آثار قد تكون وخيمة على المدى الطويل، فالجماعات اللادينية عموما، جماعات يمكن استغلالها من قبل أطراف خارجية وتستعمل في الغالب لضرب وتهديد الأنظمة الاجتماعية وإشاعة الفوضى بين الشباب على وجه الخصوص.

ولذلك توصى الدراسة بمراعاة إعادة المراجعات الفكرية الدينية المتشددة، والتى تزيد الشباب نفورًا من الدين والمجتمع، فوجود هذه الجماعات لزامًا فى كل مجتمع، ووفقًا للآية القرآنية " ويوم نحشر من كل أمة فوجًا ممن يكذب بأيتنا فهم يوزعون " (النمل:٨٣)، فلابد من احتوائهم طواعية، فان الفكر لا يُقاوم بالقهر، ولكن ينبغي أن يُقاوَم الفكر بالفكر، وكذلك وضع الآليات المتعددة والمبتكرة لمنع انتشار هذه الافكار.

المراجـــــع

(١) جورج ريتزر، رواد علم الاجتماع، ترجمة: مصطفى خلف، القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٥٨.

(٢)علي ليلة، النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع، آليات التماسك الاجتماعى، الكتاب الثالث، مكتبة الانجلو، القاهرة، ٢٠١٥، ص ص ٢٥٦- ٢٥٧.

(٣) جنيفرليمان، دور كايم: نقد ما بعد بنيوى، ترجمة: محمود أحمد عبدالله، المركز القومىللترجمه، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٢٩٥.

(٤) هنرى ارفون، الفوضوية، ترجمة:هنرى زغيب، الطبعة الأولى، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٣، ص ص٥-٦.

(٥) تحذيرات من تزايد الإلحاد في مصر، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، Tassel. www com.

(٦) هشام عزمي، الإلحاد في العالم العربي، مجلة براهين، العدد الثالث، أغسطس، ٢٠١٤م،

http://www. braheen. com/mag. www. el-hadath. com/egypt

(٧)فيكتور ستينجر، الإلحاد الجديد، Http://Kanijzai-blogspcet. com/2013.

(٨)Stephen Bullivant, The New Atheism and Sociology: why Here? Why Now? What Next?, in AmarnathAmarasingam, Religion and the New Atheism, Acritical Appraisal, Leiden- Boston, Brill, 2010. pp: 110-124 http://www. tandfonline. com/doc/pdf/10. 1080/14755610. 2011.

(٩)Gregory R. Peterson, Why the New Atheism shouldn't be(Dismissed(completely). www. zygonjournal. org/12-07

(10)Stephen Bullivant, The New Atheism and Sociology: why Here? Why Now? What Next?, in AmarnathAmarasingam, Religion and the New Atheism, Acritical Appraisal, Leiden- Boston, Brill, 2010. pp: 110-124 http://www. tandfonline. com/doc/pdf/10. 1080/14755610. 2011.

(11)David Van Deusen, The Emergence of the Black Bloc and the Movement Towards Anarchism, in the Black Bloc papers: Anthology of Primary Texts From the North American Anarachist Black Bloc 1999-2001 the Battle of Seattle (N30) throughtQuebe City (A20), Breaking Glass Press, Shawnee Mission, 2010, PP 9,33.

(١٢) وتعني البلاك بلوك الكتلة السوداء، مع تكتيك في المظاهرات والمسيرات (السلمية أو العنيفة) يرتدي فيه الأفراد الملابس السوداء والأوشحة والنظارات والأقنعة وخوذات الدراجات النارية المبطنة أو غيرها من الأشياء التي تحمي وتخفي الوجه، وتستخدم الملابس لإخفاء هويات المشاركين في المسيرة، وتسمح لهم أن يبدون وكأنهم كتلة موحدة كبيرة، لتعزز التضامن بين الأفراد. انظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، بلاك بلوك http:/ar. wikipedia. org/wiki/. وتعنى الدراسةالحاليه بالدراسةالميدانيه لجماعات الملحدين، وليس بجماعة البلاك بلوك، نتيجة اختفائها، واختفاء اى منتج ثقافى لها كدليل على وجودها.

(١٣) ربيع حسن كوكة، ضمير الأمة الجمعي

http: //jamahir. abwehda. gov. syl-archives.

(١٤) هيثم طلعت سرور، كهنة الإلحاد الجديد، ص ص ١٦٦- ١٦٧.

(١٥) صمويل هنتنجتون، صراع الحضارات إعادة صنع النظام العالمى، ترجمة: طلعت الشايب، ١٩٩٨، القاهرة، سطور للنشر، ص ١٠٨.

(16) Stephen Bulivant, Ibid.

(١٧)أحمد زايد، صور من الخطاب الدينى المعاصر، دار العين للنشر، القاهرة، الكتاب الاول: خطاب المؤسسة والنخبة، ٢٠٠٧، ص ص١٨٥- ١٨٨.

(18) Stephen Kerry, Max Weber and the social role of religion in the Lives of intersex Australians, www. cdu. edu. au/Leba/seminar. series2014.

(19) Stephen Bullivant, Ibid.

(20) Stephen Bullivant, Ibid

(22) Phil Zuckerman, Atheism, Secularity, Counter Negative Stereotypes and Assumptions. www. pitzer. edu/academics/faculty and Well-Being: How the Findings of Social

(٢٢)عبد الرحمن بدوى، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، الطبعه الأولى، ١٩٤٥، ص ص ٧-٨.

(٢٣) للإطلاع على أكبرعرض للنسب الإحصائية عن الإلحاد أنظر:

Phil Zuckerman, Atheism, Secularity, and Well-being: how the Findings of Social Science Counter negative Stereotypes and Assumption. See: www. pitzer. edu/academics/faculty.

(٢٤) عمرو شريف، خرافة الإلحاد، مكتبة الشروق الدوليه، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٢٨.

(٢٥) عمرو شريف، المرجع السابق، ص ٣٩٢.

(٢٦) ويكيبيديا الموسوعة الحرة Http://ar. Wikipedia. org/Wiki.

(٢٧) ولابد ان نوضح ان هناك فرقًا بين رجل الشارع البسيط الذى ينكر فكرة الآلة لأسباب شخصية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية وهذا نجده غاضبًا أبدًا يفتعل

الأحاديث والحوارات لسب الأديان، والملحد الحقيقي الذى يجب أن يكون غرضه الرئيسي هو الموضوعية والبحث العلمي وليس التشكيك أو مهاجمة أو إظهار عدم الاحترام للدين. وهذا الشخص يبنى موقفه على الفلسفة والعلم، ونقده للدين يكون بعيدًا عن السب واللعن، ولا يكون إلا في مجالس العلم، فالإلحاد لديه ليس قضية تبشيرية، وهو يتحدث بصفته لا ديني.

(٢٨) عمرو شريف، خرافة الإلحاد، مرجع سابق، ص ص ٢٧- ٢٨.

(٢٩) هيثم طلعت على سرور، كهنة الإلحاد الجديد Http://Laelhad. com.

(٣٠) عمرو شريف، خرافة الإلحاد، مرجع سابق ، ص ص ٢٦- ٢٧.

(31) Steven A. Peterson, Moral Development and Critiques of Anarchism https://missorg/journals/jls/8.

(32) Chandler Hord in his own words, A global Collective Intelligence: information and communication technology reintroduces a collective Consciousness. www. faculty. rsc. edu/users.

(٣٣) الأناركية والفوضى الغير خلاقة التي تواجه العالم.

http: //revfacts. blogspot. com/2011/12/blog-post_04. html

(34) انظر فى هذا:

- Sylvan, Richard, in Goodwin, Robert E,Pettit, Acompansion to Contemporary Political Philosophy, Philip Blackwell publishing. 1995.

- Fowler,R. B, the Anarchist tradition of Political thought, the Western Political Quarterly, vol. 25, No. 4. December, 1972.

-Michael,Truscello,Uri,Gordon,Whose Streets? Anarchism, Technology and the Petromodern State, Anarchist Studies 21. 1, 2013.

(٣٥) كتاب الفوضوية، نقد ماركس، جون مولينو. في الموقع

http: //ayman1970. wordpress. com/2012/03/041.

(٣٦) محمد بسيوني عبدالحليم، كيانات ممتدة «البلاك بلوك» كنموذج لحركات العنف غير التقليدية في مصر.

http: //www. siyassa. org. eg/news

(٣٧) ولذلك لجأت الدراسة الى تطبيق الدراسة الميدانيةعلى جماعات الملحدين فقط من خلال قراءة افكارهم عبر كتاباتهم المختلفة

(٣٨) أحمد أغيال، مفهوم الدولة عند دوركايم.

http://sophia. over-blog. com/article

(٣٩) الأناركية وآليات تفكيك الضمير الجمعي، دراسة في فكر إميل دوركايم.

(40)Anna Piepmeyer, Collective Consciousness.

http://csmt. uchicago. edu/glossary2004/ collective consciousness

(٤١) أحمد أغيال، مفهوم الدولة عند دوركايم. مرجع سابق
http://sophia. over-blog. com/article
(٤٢)ويكيبديا الموسوعة الحرة، مادة الضمير الجمعي .http: //ar. wikipedia
.org/wiki/
(٤٣) سابينوأكوافيفا، إنزوباتشي، علم الاجتماع الدينى: الاشكالات والسياقات، ترجمة:عز الدين عنايه، هيئة أبو ظبى للثقافه والتراث كلمة، الامارات العربية المتحدة، ٢٠١١، ص ٣٦.
(٤٤) جينيفر ليمان، تفكيك دوركايم : نقد ما بعد بنيوي، ترجمة محمود أحمدعبدالله، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٦٦.
(٤٥) سامية الخشاب، دراسات فى الاجتماع الدينى، دار المعارف، مصر، ١٩٩٣، صص٥٢ ـ ٥٣.
(٤٦) سامية الخشاب، مرجع سابق، ص ٥٥.
(٤٧) سامية الخشاب، المرجع السابق، ص ٥٦.
(٤٨) علي ليلة، مرجع سابق، ص ١٢٦.
(٤٩) دور كايم، الأشكال الأساسية للحياة الدينية، ص ص ٣٠٥- ٣٠٦.
(٥٠) التمثل الجمعي يمكن اعتباره حالات محددة أو طبقات فرعية من الضمير الجمعي، باللغة المعاصرة، ربما نصف التمثل الجمعي بقيم ومعايير جمعية مثل الأسرة والمهنة والدولة والمعاهد التعليمية والدينية، وقد أتاح مفهوم التمثل الجمعي لدوركايم فهم الحقائق الاجتماعية غير المادية بصورة أكثر تحديدًا من مفهوم الضمير الجمعي الشامل. فإن التمثلات الجمعية لا يمكن اختزالها إلى مستوى وعي الفرد، التمثلات الجمعية تنتج من طبقات الأفراد المشتركين، لكن لها ميزاتها المنفردة، هذا يعني أن ميزاتها الفريدة لا يمكن اختزالها إلى الوعي الفردي، وهذا يضعها داخل إطار الحقائق الاجتماعية غير المادية، إنها تتجاوز الفرد لأنها لا تعتمد في وجودها على فرد معين، إنها مستقلة عن الأفراد لأن عمرها أطول من عمر أي فرد. .
(٥١) محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الحادية عشر، لبنان، بيروت، ٢٠١١م، ص ص ٧٥- ٧٧.
(٥٢) أسامه شحاته، ملخص كتاب ميليشيا الإلحاد، للشيخ عبد الله العجيري http://www. alrased. net/main/articles. aspx?
(٥٣) علي ليلة، مرجع سابق، ص ٢٥٩.
(٥٤) علي ليلة، المرجع السابق، ص ص ١٦٠، ١٦١.
(٥٥) علي ليلة، المرجع السابق، ص ص٢٦٠-٢٦١.
(56)Fukuyama, Francis, The End of Order, The Social Market Francis,1997, p. 28.

(57) علي ليلة، النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع، آليات التماسك الاجتماعي،مرجع سابق، ص ١٥٩.

(58)William Sims Bainbridge, Atheism, Interdisciplinary Journal of Research on Religion, Volume 1, 2005, Article 2.

(59)Mark Vernon, Afterword, in AmarnathAmarasingam,Religion and the New Atheism, Acritical Appraisal, Leiden- Boston,Brill,2010, pp:110 124.

(60)Ibid, p. 125M Mark Vernon.

(٦١) سامية الخشاب، مرجع سابق ص ص١٥٢-١٥٦.

(٦٢) عمرو عبد السميع، حالة حوار الملاحدة www. ahram. org. eg/News. 9/204957aspx.

(٦٣) أحمد زايد، تناقضات الحداثة في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٧٨.

(٦٤) عمرو شريف، خرافة الإلحاد، مرجع سابق، ص ٣٦٠.

(٦٥) علي ليلة، النظريهالاجتماعيه وقضايا المجتمع، آليات التماسك الاجتماعمرجع سابق، ص ١٧٨.

(٦٦) أحمد زايد، تناقضات الحداثة في مصر، مرجع سابق ، ص ص ٧٠- ٧١.

(٦٧) عبد الله العجيرى، ميليشيا الإلحاد- مدخل لفهم الإلحاد الجديد
Http://www. Dorar. net/article/1722

(٦٨) عمرو شريف، خرافة الإلحاد، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٦٩) عبد الله العجيري، ميليشيا الإلحاد، مرجع سابق، ص ٤٣.

(٧٠) عبد الله العجيري، المرجع السابق، ص ص٢١-٣٩.

(٧١) مثل موقع «نحن الإلحاد» والذي يشكل شبكة اجتماعية واسعة للملاحدة يتم فيه الإعلان عن هوياتهم الملحدة، كما يقدم الموقع نصائح وإرشادات لمن يريد الإعلان عن إلحاده في محيطه الأسري القريب أو المجتمع الأوسع. وأيضًا موقع «الملحدين المصريين»، و «ملحدون بلا حدود»، «جماعة الإخوان الملحدون»، «مجموعة اللادينية»، و «ملحدون ضد الأديان» ويوجد أيضًا موقع «حملة الخروج» والتي تدعو فيها الملاحدة الخروج علانية عبر حكاية تجاربهم وقصصهم مع الإلحاد وإبراز هويتهم الملحدة مجتمعيًا عبر ارتداء القمصان التي تشير إلى ذلك، واختصارًا لكلمة ملحد (A) أو يرتدون قبعات عليها حرف (A) أو على السيارة (عبدالله العجيري، مرجع سابق، ص ٣٩).

(٧٢) عمرو شريف، خرافة الإلحاد، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٧٣) سابينوأكوافيفا، إنزوباتشى، مرجع سابق، ص ص ٥٨-٥٩.

(٧٤) السيد الحسيني، فيبرو الإسلام، عرض نقدي، تأليف ب. تيرنر، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، المجلد الثاني، ١٩٨١، القاهرة ص ٣٠٥ – ٣٢١.

(٧٥) سابينوأكوافيفا، إنزوباتشي، مرجع سابق، ص ٥٨ - ٦٦.
(٧٦) علي ليلة، مرجع سابق، ص ١٢٤.
(٧٧) سابينوأكوافيفا، إنزوباتشي، مرجع سابق، ص ص٣٢-٣٣.
(٧٨) سابينوأكوافيفا، إنزوباتشي، المرجع السابق، ص ٣٣.
(٧٩) ماكس فيبر، مفاهيم أساسية في علم الاجتماع، ترجمة صلاح هلال، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ص ٩٣.
(80)William Sims Bainbridge , Ibid.

.

١٢

٧٤